الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبو بكر بلقايد
UNIVERSITÉ DE TLEMCEN
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر
رمز المذكرة:.....

المـــــوضـــوع:

الأبعاد الاجتماعية في سيرة "الحفر في تجاعيد الذاكرة" لعبد المالك مرتاض

إعداد الطالبتين :
- برمضان إيمان
- بن طلحة كريمة

إشـراف الأستاذ الدكتور:
طول محمد

لجنة المناقشة		
أ.الدكتور	عباس محمد	رئيسا
أ.الدكتور	موس لبنى	ممتحنا
أ.الدكتور	طول محمد	مشرفا مقررا

العام الجامعي :1441-1442هـ /2020 - 2021م

شكر وعرفان

بسم الله الرحمن الرحيم

نتقدم بعظيم شكرنا وامتنانا وتقديرنا إلى الأستاذ المشرف الدكتور "طول محمد " لتفضله بالإشراف على هذه الرسالة، ولما قدمه لنا من وقت في سبيل إثراء هذه الرسالة وإعدادها بشكلها ومضمونها الحاليين وعلى ما قدمه لنا من جهد صادق وعون خالص وهو كان دوما لنا نبراساً أضاء لنا الدرب.

و الحمد لله .

إهداء

إلى أبي الغالي رحمه الله الذي تمنيت وجوده بهذا اليوم ، جزاه الله فردوساً وأجرا عظيما .وإلى أمي العزيزة أطال الله عمرها و رزقها الصحة و العافية،

اللذين منحاني فرصة التعلم ولم يبخلا علي بشيء،أقدم لهما جزيل الشكر والعرفان .

إلى أخي و أختاي الصغيرتين ، وإلى جدي و جدتي ، حفظهم الله جميعا ،

إلى صديقاتي و زميلاتي اللائي شاركنني تعب هذا المشوار،

إلى كل العائلة كبيرها و صغيرها،

إلى كل عزيز على قلبي،

إلى كل من التقيته في مشواري الحياتي و الدراسي،

إلى الأستاذ المشرف" محمد طول" الذي أشكره جزيل الشكر على توجيهنا في هذا البحث .

إلى من شاركتني عبء هذا البحث زميلتي برمضان إيمان .

إلى كل أساتذتي من الابتدائي إلى الجامعي.

إلى كل من ذكرته و من لم أذكره أهدي ثمرة جهدي .

فشكراً للجميع ....

كريمة

إهداء

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركاً فيه ، سبحانك ربي لا علم لنا إلا ما علمتنا.

أهدي ثمرة جهدي هذا إلى من وهباني الحياة والأمل، والنشأة على شغف الاطلاع والمعرفة، وإلى من علماني أن أرتقي سلم الحياة بحكمة وصبر:

والدي العزيز ووالدتي العزيزة .

إلى من وهبني الله نعمة وجودهم في حياتي، وكانوا عوناً لي في رحلة بحثي:

إخواني وأخواتي .

و إلى صديقاتي التي تقاسمنا حلاوة الحياة ومرارتها ونحن نشق الطريق معاً نحو النجاح في مسيرتنا العلمية، إلى رفيقات دربي ***: خيرة، أمينة، هاجر، نسرين، عائشة، إيمان ...*** وزميلتي وشريكتي في هذا البحث :

بن طلحة كريمة.

وإلى الكتكوت الصغير الذي به تدخل البهجة إلى الصدوروالأنفس :

أنس .

وإلى أستاذي الفاضل : ***طول محمد*** الذي كان نعم العون لنا، وأفادنا من خبرته الواسعة .

وأخيرا إلى كل من ساعدني، وكان له دور من قريب أو بعيد في إتمام هذه الدراسة، سائلة المولى عزوجل أن يجزي الجميع خير الجزاء في الدنيا

و الآخرة.

ثم إلى كل طالب علم سعى بعلمه، ليفيد الإسلام والمسلمين بكل ما أعطاه الله من علم ومعرفة .

إيمان

مقدمة

مقدمة :

لقد تعددت الأجناس الأدبية منذ العصر الجاهلي إلى يومنا هذا ، من خطابة ووصايا ورسائل وروايات وسيَر؛ ترجمت حياة العديد من الشخصيات، لعل أبرزها سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، التي اشتهرت على نطاق واسع ولأجيال بعيدة، وعلى إثرها بدأ الظهور الفعلي لفن السيرة .

و تنوعت هذه السير؛ من السير الغيرية إلى السير الذاتية عند الكثير من الأدباء العرب بصفة عامة ، والجزائر بصفة خاصة.

ويعد (**عبد المالك مرتاض**) أحد أهم رواد السيرة الذاتية الأدبية الجزائرية ، وهذا الذي حفزنا إلى الاطلاع على هذه السيرة ، وعلى حياة هذا الأديب الناقد ، وعلى الشخصية الذاتية له ، والتي ـ بلا شك ـ أسهمت في تكوين هذه الشخصية التي ارتقت إلى العالمية .

-فمن هو عبد المالك مرتاض ؟ وماهي عاداته وتقاليده وثقافته ؟

وللإجابة على هذه التساؤلات ، قمنا بوسم هذا البحث بعنوان : **الأبعاد الاجتماعية في سيرة :" الحفر في تجاعيد الذاكرة " لعبد المالك مرتاض"**، و قسمنا العمل فيه إلى : مدخل ، وفصلين اثنين ذيلناهما بخاتمة .

ففي **المدخل** تحدثتُ عن **حياة الكاتب** : عبد المالك مرتاض ، مولده ونشأته ، وأهم أعماله .

وفي **الفصل الأول** الذي عنونّاه بـ **" ماهية السيرة الذاتية "** ، تطرقْنَا فيه لتعريف السيرة لغة واصطلاحا، مع ذكر أنواع السير ؛ مثل : السيرة الغيرية والسيرة الذاتية ، بالإضافة إلى عناصرها ومكوناتها الفنية وكيفية تطورها.

أما **الفصل الثاني** المسجل تحت عنوان: **البعد الاجتماعي** في سيرة :" الحفر في تجاعيد الذاكرة " ، فخصصناه لقراءة السيرة ، ولملاحظة الظواهر الاجتماعية التي تتضمنها ، وتتبعهامن أجل تجميع البيانات حول موضوع البحث ، وللتوصل إلى نتائج عامة عن سيرة عبد المالك مرتاض المعنونة بـ : " الحفر في تجاعيد الذاكرة" .

وقد تطرقنا فيه إلى أهم الأبعاد الاجتماعية المتمثلة في العادات والتقاليد ، وثقافة المحيط الخاصة التي سجلها الكاتب في سيرته ، بما في ذلك الجانب الاستعماري وأثره السياسي على الجانب الاجتماعي.

وذيلنا بحثي هذا بـ(**خاتمة**) ضمَّنَّاها أهم النتائج التي توصلنا إليها ، ثم أتْبعناها بقائمة المصادر والمراجع وفهرس تفصيلي للموضوعات .

وقد انتخبْنَا لهذا العمل المنهج **الاستقرائي** الذي يقوم على ملاحظة الظواهر وتتبعهامن أجل تجميع البيانات حول الموضوع الهدف (الابعاد الاجتماعية في سيرة عبد المالك مرتاض) ـ للتوصل إلى نتائج عامة ، و اسْتَعَنَّا على ذلك بآليات المنهج **التحليلي** الذييقوم بإكمال البحث عن طريق أعمال التصنيف والتجزئة.

ومن المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها بكثرة: "الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث" ليحي إبراهيم عبد الدايم ، "السيرة الذاتية في الأدب العربي" لتهاني عبد الفتاح ، "فن السيرة" لإحسان عباس و سيرة "الحفر في تجاعيد الذاكرة " لعبد المالك مرتاض .

أما الصعوبات التي واجهتنا فتتمثل في صعوبة : شروح وترجمة المصطلحات والألفاظ العامية والأمازيغية التي حشدها الكاتب في السيرة من مختلف البيئات الاجتماعية والمهنية ، والتي تنتمي إلى منطقة (**مْسِيرْدَة**) المتنوعة المرجعيات الثقافية .

وأخيرا نُقدم ما كتبْناه ، فإن أصبْنَا فلله الحمد من قبل ومن بعد، وإن أخطأنا فهذا مبلغُنَا من العلم، و نرجو التوجيه والتسديد والتصويب من السادة : أساتذتنا الأفاضل .

تلمسان في :29/06/2021

الطالبة :برمضان إيمان

الطالبة :بن طلحة كريمة

قسم اللغة والأدب العربي

كلية الآداب واللغات

جامعة أبي بكر بلقايد . تلمسان .

مدخل

الأديب الناقد :

عبد المالك مرتاض

حياته وأدبه

حياته وأدبه

أ–حياته:

ولد عبد المالك مرتاض في 10 يناير 1935م ببلدية (مْسِيرْدَة) ولاية **تلمسان**المحاذية للملكة المغربية بشمال غرب الجزائر؛ حيث نشأ فيها وترعرع . وحفظ القرآن الكريم في كُتَّابِ والده الذي كان فقيهَ القرية ، مما هيَّأَ له فرصة الاطلاع على كثير من الكتب التراثية القديمة؛مثل ألْفِيَّة ابن مالك" ، "والأجرومية" ، و"الشيخ الخليل" و " المرشد المعين "...([1])

و بعد أن حصل على بعض العلوم الأولية التقليدية بقرية "مْجِيعَة" سافر إلى فرنسا سنة 1953م لأجل العمل بها ، كأغلب شباب زمانه ، وانخرط في معامل "لا سْتُورِي" المختصة في صهر المعادن التوتياء بالشمال الفرنسي، وبعد ستة أشهر هناك، عاد في سبتمبر 1954م إلى قريته بمنطقة "**مْسِيرْدَة** " التي تركها جميلة وهادئة ، فوجدها كمَقْبَرَة حزينة.

لم يلبث فيها إلا أياما قلائل، ثم ارتحل إلى مدينة قسنطينة قصد الالتحاق بمعهد الإمام عبد الحميد بن باديس (الذي كان الأديب الشهير" **أحمد رضا حوحو**" مديرا له" ؛ فتتلمذ طيلة خمسة أشهر على أيدي مشايخ المعهد مثل: الشيخ عبد الرحمان شيبان ،والشيخ أحمد بن دياب،والشيخ علي ساسي... وحين أُغْلِقَ المعهد، وضع عمامةً على رأسه وارتدى سروالا جزائرياً كي ينجو من شر الفرنسيين، ورجع إلى البيت.[2]

---

[1]. هذه كتب تتضمن مُتُوناً في العلومااللغوية والفقهية .

[2]الخطاب النقدي عند عبد المالك مرتاض ،يوسف وغليسي، رابطة إبداع الثقافية ، الجزائر ، (د. ط) ، 2002 ، ص 129 .

وفي سنة 1955م ذهب إلى مدينة "**فاس**" المغربية، قصد متابعة دراسته في جامعة الْقَرَوِيِّين ، ولكنه أصيب بمرض خطير (مرض السل) كاد يودي بحياته، فلم يدرس بها إلا أسبوعاً واحداً .

وفي سنة 1956م عُيِّنَ مَدرِّساً للغة العربية بإحدى المدارس الابتدائية بمدينة (**أَحْفِيرْ**) عمالة " **وَجْدَة** " المغربية . وفي سنة 1960م حصل على شهادة البكالوريا (التعليم الأصلي) الشهادة الثانوية التي أتاحت له الانتظام في جامعة الرباط بالمغرب (كلية الآداب) ، ليسجل بعد سنة " بموازاة دراسته النظامية " في المدرسة العليا للأساتذة حيث تخرج سنة 1963م بشهادة الليسانس في الآداب . وعُيِّنَ بعد ذلك أستاذا بثانوية (مولاي يوسف الرباط) .

وبعدالتحاقه بالجزائر ، بعد الاستقلال ،عُيِّنَ مستشاراً تربوياً بمدينة "**وهران**" ، وظل كذلك زهاء شهرين فقط ، ليلتحق بثانوية ابن باديس (وهران) حيث ظل أستاذا ثانوياً حتى سنة 1970 .

وفي 07 مارس 1970م حصل على شهادة الدكتوراه من كلية الآداب **بجامعة الجزائر** عن بحث بعنوان (فن المقامات في الأدب العربي) بإشراف إحسان النص .

وفي السنة نفسها من شهر سبتمبر عين رئيسا لدائرة اللغة العربية وآدابها بجامعة وهران ، ثم مديرا للمعهد سنة 1974م. [3]

وفي يونيو 1983م أحرز على شهادة دكتوراه الدولة في الآداب من جامعة **السوربون** بباريس ، عن أطروحة بعنوان (فنون النثر الأدبي بالجزائر) بإشراف المستشرق الفرنسي " أندري ميكال " [4]

ليرقى في سنة 1986م إلى درجة أستاذ كرسي "بروفيسور ".

3معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002، كامل سليمان الجبوري ، مج 4، دار الكتب العلمية، (بيروت – لبنان) ،ط1 ، 1424 هـ/ 2003م ، ص 143.

4لخطاب النقدي عند عبد المالك مرتاض ، يوسف وغليسي ، (مصدر سابق)،ص 130 .

نهض بتدريس جملة من المقاييس في معهد اللغة و آدابها بجامعة وهران ، كالأدب الجاهلي والأدب العباسي والأدب المقارن والادب الشعبي والادب الجزائري والسيمائيات و تحليل الخطاب والمناهج ...

ب–نشاطاته المهنية والإدارية والعلمية .

تقلد كثيراً من المناصب العلمية والثقافية ، منها :

- نائب عميد جامعة وهران 1980 .
- أمين وطني مكلف بشؤون الكتاب الجزائريين 1984 .
- مدير للثقافة والإعلام بولاية وهران 1983 .
- عضو في الهيئة الاستشارية مجلة (التراث العربي) العراقية 1986 .
- رئيس المجلس العلمي لمعهد اللغة العربية وآدابها بجامعة وهران.
- عضو المجلس الإسلامي الأعلى 1997.
- رئيس المجلس الأعلى للغة العربية 1998 .
- شارك في عشرات الملتقيات الأدبية والمهرجانات الثقافية الوطنية والدولية .

نشر دراساته في أشهر المجلات العربية :

- مجلة الثقافة الجزائرية .
- مجلة (فصول) المصرية .
- مجلات (المنهل) ، الفيصل ، قوافل ، علامات السعودية .
- مجلة كتابات معاصرة اللبنانية.
- مجلة أقلام ، آفاق عربية ، التراث الشعبي العراقية .
- مجلة الموقف الأدبي السورية .[5]

[5] الخطاب النقدي عند عبد المالك مرتاض ، يوسف وغليسي ،(مصدر سابق)، ص 130–131 .

ج–مؤلفاته :

تميز الأديب **عبد المالك مرتاض**بخيال خصب وقدرةعالية على الفهم والتحليل ،مما جعل قلمهسيالاً مطواعاً ، خلّف آثاراً أدبية وعلمية توزعت على أقاليم ثقافية شتى ؛كالرواية و القصة و الشعر والنقد والتاريخ والتراث الشعبي ...، حتى عُدَّ من أغزر كتاب الجزائر تأليفا ، وأكثرهم تنوعاً وثراءً .[6]

وتشهد له بذلك التنوع وذلك الثراء هذه**القائمة بمؤلفاته** ،مرتبة بحسب تواريخ صدور طبعتها الأولى :

- القصة في الأدب العربي القديم ، هو فاتحة نتاجه وباكورة مؤلفاته، نشرته دار ومكتبة الشركة الجزائرية سنة 1968.
- نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر ،صدر عن الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع سنة 1971، ثم أعادت طبعه سنة 1983.
- فن المقامات في الأدب العربي ،صدر في طبعته الأولى عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع سنة 1980.
- الثقافة العربية في الجزائر بين التأثير والتأثر ،نشره اتحاد الكتاب العرب بدمشق سنة 1981، ثم أعادت نشره دار الحداثة ببيروت وديوان المطبوعات الجامعية سنة 1982.
- العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى ،صدر عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع سنة 1981
- الألغاز الشعبية الجزائرية، صدر عن ديوان المطبوعات الجامعية سنة 1982.

[6] الخطاب النقدي عند عبد المالك مرتاض، يوسف وغليسي ،(مصدر سابق)، ص 131.

- الأمثال الشعبية الجزائرية ،صدر عن ديوان المطبوعات الجامعية سنة 1982 وقد ترجم فضل كامل منه إلى اللغة الإنجليزية ضمن كتاب أسهم فيه أمريكيون وعرب ، وذلك بعنوان:

[economic relation among social classes Algerian proverbs]

وقد نشرت الكتاب المطبعة الجامعية بفلوريدا ميامي .[7]

- المعجم الموسوعي لمصطلحات الثورة الجزائرية ،صدر عن ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر سنة 1983.
- فنون النثر الادبي بالجزائر ،صدر عن ديوان المطبوعات الجامعية سنة 1983.
- النص الأدبي من أين ؟ وإلى أين؟ ،صدر عن ديوان المطبوعات الجامعية سنة 1983.
- الشيخ البشير الابراهيمي ،صدر عن وزارة الثقافة الوطنية سنة 1984.
- بنية الخطاب الشعري ،صدر عن دار الحداثة ببيروت سنة 1986،ثم أعاد ديوان المطبوعات الجامعية نشره سنة 1991.
- في الأمثال الزراعية ،صدر عن المطبوعات الجامعية سنة 1987.
- عناصر التراث الشعبي في **اللّاز** ،صدر عن ديوان المطبوعات الجامعية سنة 1987.
- الميثولوجيا عند العرب ،صدر عن المؤسسة الوطنية للكتاب والدار التونسية للنشر سنة 1989.
- الف ليلة وليلة ،صدر عن دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد سنة 1989.
- القصة الجزائرية المعاصرة ،صدر عن المؤسسة الوطنية للكتاب سنة 1990.
- ألف – ياء ،صدر عن ديوان المطبوعات الجامعية سنة 1992. [8]
- شعرية القصيدة ، قصيدة القراءة ،صدر عن دار المنتخب العربي ببيروت سنة 1994.

---

[7] الخطاب النقدي عند عبد المالك مرتاض ، يوسف وغليسي ، (مصدر سابق)،ص 131.

[8] النقد الجزائري المعاصر في اللانسونية إلى الألسنية ، يوسف وغليسي ، رابطة إبداع الثقافية ، 2002 ، ص 195-196 .

- نظام الخطاب القرآني ،صدر عن دار الثقافة بالجزائر سنة 1994.
- تحليل الخطاب السردي ،صدر عن ديوان المطبوعات الجامعية سنة 1995.
- مقامات السيوطي ، تحليل سيميائي ،اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1996
- قراءة النص ،كتاب الرياض ،الرياض سنة 1997.[9]
- في نظرية الرواية ،سلسلة علم المعرفة ،م.و.ث.ف.أ ، الكويت، سنة 1998.
- معلقات السبع ،اتحاد الكتاب العرب ،دمشق، سنة 1998.
- الكتابة من موقع العدم ،صدر في طبعته الأولى ،عن دار اليمامة بالرياض سنة 1999، أما طبعته الثانية فقد صدرت عن دار العرب للنشر والتوزيع بوهران سنة 2003.
- النص الغائب ،صدر عن شركة النور بالكويت ،سنة 1999.
- الأدب الجزائري القديم ، دراسة في الجذور ،صدر عن دار هومة بالجزائر سنة 2000.
- التحليل السيميائي للخطاب الشعري ،صدر عن الكتاب العربي بالجزائر سنة 2001.
- نظرية البلاغة ،صدر عن أكاديمية الشعر العربي في هيئة أبوظبي للثقافات والتراث سنة 2001.
- في نظرية النقد ،صدر عن دار هومة بالجزائر سنة 2002.
- نظرية القراء ،صدر عن دار الغرب بوهران سنة 2003.
- نظرية النص الأدبي ،صدر في طبعته الأولى سنة 2007، أما طبعته الثانية فقد صدرت عن دار هومة بالجزائر وكذلك في سنة 2007.
- قضايا الشعريات ،صدر عن دار القدس العربي بوهران سنة 2009.
- طلائع النور ،صدر في طبعته الأولى سنة 2009.

د– أعماله الإبداعية :

[9] الخطاب النقدي عند عبد المالك مرتاض ، يوسف وغليسي ،(مصدر سابق)، ص 131 .

وتضمنت أغلبها الروايات :

- دماء ودموع : رواية كتبها بالمغرب سنة 1963، ونشرها مسلسلة بجريدة الجمهورية (وهران) عبر 84 حلقة ، من نوفمبر 1977 إلى 20.02.1978 .[10]
- نار ونور : رواية كتبها سنة 1964 ، ونشرتها دار الهلال بالقاهرة سنة 1975.
- الخنازير : رواية صدرت عن المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر سنة 1985.
- صوت الكهف : رواية صدرت عن دار الحداثة ببيروت سنة 1986.
- هشيم الزمن : مجموعة قصصية ، صدرت عن (م. و. ك) بالجزائر سنة 1988.
- حيزية : رواية نشرت مسلسلة بجريدة (الشعب) ، عبر 15 حلقة ، من العدد 7539 (20.01.1988) إلى العدد 7623 (27.04.1988) أسبوعيا .
- مرايا متشظية : رواية صدرت عن دار هومة بالجزائر سنة 2000.
- حياة بلا معنى : رواية قديمة مخطوطة [11]
- قلوب تبحث عن السعادة : رواية قديمة مخطوطة.
- مملكة العدم : رواية صدرت حديثا ببيروت .[12]
- وادي الظلام : رواية صدرت عن دار هومة بالجزائر سنة 2005.
- رواية **الحفر في تجاعيد الذاكرة** : لوحات من سيرة الذات زمن الصبا ، سنة 2003.
- رواية ثلاثية الجزائر (الملحمة ، الطوفان ، أم الثورات) صدرت سنة 2010.

[10] الخطاب النقدي عند عبد المالك مرتاض، يوسف وغليسي،(مصدر سابق)،ص 132 .

[11] المصدر نفسه ، ص 132.

[12] المصدر نفسه ، ص 196-198 .

الفصل الأول

ماهية السيرة الذاتية

أولا : مفهوم السيرة :

ثانيا: أنواع السيرة :

ثالثاً : تطور السيرة الذاتية :

ماهية السيرة الذاتية

تمهيد

تعرضت الأجناس الأدبية لمجموعة من الاختلافات وذلك بسبب العوامل التي أدت إلى ظهورها ، ومن ضمن هذه الأجناس الأدبية لدينا " **فن السِّيرَة** " التي لها جذور ضاربة في أعماق تراثنا العربي .

أ–لغة :

وردت في المعجم العربي الأساسي سار يسير: مشى وسار سيرة حسنة، سلك سلوكا حسناً [13].

وذكرت في الذكر الحكيم لقوله تعالى:" **قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْسَنُعِيدُهَاسِيرَتَهَاالْأُولَىٰ** " [14]؛ أى : سنعيدها إلى هيئتها وحالتها الأولى .(15)ويعرفها ابن منظور في معجمه لسان العرب " السيرة : السنة والسيرة الطريقة، يقال سار بهم سيرة حسنة، والسيرة الهيئة ." [16]

في حين يقول " الفيروز أبادي " في قاموسه " المحيط" السير هو الذهاب كالمسير والتسيار والمسيرة والسيرورة والسيرة: الضرب من السير والسِّيرَة بالكسر: السنة والطريقة والهيئة .[17]

وفي المعجم الوسيط : " السيرة السنة والطريقة ... والسيرة : الحالة التي يكون عليها الإنسان وغيره، والسيرة النبوية وكتب السيرة : مأخوذة من السير بمعنى الطريقة ، وأدخل فيها الغزوات وغير ذلك ويقال : قرأت سِيرَة فلان ، تاريخ حياته . والجمع سِيَر ." [18]

---

[13] المعجم العربي الأساسي ، المنظمة العربية للتربية والثقافة ، (د. ط) ، (د. ت) ، ص 251.

[14] سورة طه : الآية 21.

15. جامع البيان في تأويل القرآن. محمد جرير الطبري. تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي. دار هجر للطباعة والنشر. ج 16. ط 2008.

[16] ابن منظور ،لسان العرب ،م7،دار صادر ، بيروت ، ط4، 2005م ،ص 317.

17 الفيروزآباديالقاموس المحيط ،مادة (سير) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت،ط2، 1987، ص 321.

[18] مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ، ط4، 2004 ، ص 467.

ومن خلال كل هذا نستنتج أن السيرة هي الطريقة، والهيئة، والسنة ، والسلوك ، وتاريخ الحياة.

ب–السيرة اصطلاحاً :

السيرة هي جنس سردي حكائي ، " يتولى فيها الراوي ترجمة حياة ذات خصوصية إبداعية في مجال حيوي أو معرفي ، فيها من العمق والغنى ما يستحق أن يروى ليقدم تجربة يمكن أن تثري القارئ وتخصب معرفته بالحياة من خلال الاطلاع عليها والإفادة منها ". [19]

وكما ورد في معجم مصطلحات نقد الرواية : " هي نص سردي يتميز عن الرواية المروية بضمير المتكلم بأنه لا يقدم متخيلا وهميا بل يعرض الأحداث الحقيقية التي وقعت للكاتب. ولاشك في أن الصورة التي تقدمها السيرة الذاتية قد تختلف عن حياة الكاتب في الواقع، إما بسبب عجز الذاكرة عن إعادة تكوين الحدث الماضي ، وإما بسبب الرغبة في تجميل الحقيقة أو تعتيمها ". [20]

وتعرف أيضا بأنها " نوع من الأنواع الأدبية التي تتناول التعريف بحياة رجل أو أكثر، تعريفا يطول أو يقصر أو يتعمق ، أو يبدو على السطح تبعاً لثقافة كاتب الترجمة ومدى قدرته على رسم صورة واحدة دقيقة من مجموع المعارف والمعلومات التي تجمعت لديه عن المترجم له" . [21]

وإن أقرب التعريفات لهذا الفن النثري ما ذهب إليه الدكتور يحي إبراهيم عبد الدايم ؛ إذ يقول : " الترجمة الذاتية الفنية هي التي يصوغها صاحبها في صورة مترابطة ...، وفي أسلوب أدبي قادر على أن ينقل إلينا محتوى وافياً كافياً في تاريخه الشخصي... ، وحافلا بالتجارب

---

[19] محمد صابر عبيد ،"السيرة الذاتية الشعرية ، قراءة في التجربة السيرية لشعراء الحداثة العربية ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ،ط1، 2008 ، ص 109.

[20] لطيف زيتوني ،معجم مصطلحات نقد الرواية،، مكتبة لبنان ناشرون ، دار النهار للنشر ، ط1، 2002م ، ص 110-111.

[21] محفوظ كحوال ،الأجناس الأدبية النثرية والشعرية ، دار نوميديا للنشر والتوزيع ، (د. ط) ، 2007م ، ص 75.

والخبرات المنوعة الخصبة، ويقوم على جمال العرض وحسن التقسيم وعذوبة العبارات وحلاوة النص الأدبي ." [22]

ثانيا: أنواع السيرة :

السيرة في الأدب لها أشكال متعددة وأنواع مختلفة، ولكن أشهرها وأهمها نوعان :

أ-النوع الأول :**السيرة الغيرية** :

وهي جنس أدبي "يكتبه بعض الأفراد عن غيرهم من الناس، سواء أكانوا من الأعلام الذين عاشوا في الزمن الماضي أو في الزمن الحاضر...، فيسردون في صفحاتهم حياة صاحب السيرة أو الترجمة ، ويفضلون المنجزات التي حققها، وأدت إلى ذيوع شهرته، وأهلته لأن يكون موضوع دراسة" .[23]

ب-النوع الثاني: **السيرة الذاتية** :

إن السِّيرة الذاتية ـ منذ ظهورها، كما ذكر، ـ في العصر الروماني ، شهدت اهتماما كبيراً في الآداب ، وقد تناولها المحللون والنقاد والدارسون بالبحث والدراسة والتحليل ؛ و لم يتفقوا على تعريف واضح لحدودها ، ولذلك كثرت تعريفاتها.

فيعرفها عبد العزيز شرف بقوله :" السيرة الذاتية تعني حرفياً ترجمة حياة إنسان كما يراها ".[24]

---

[22] يحي إبراهيم عبد الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث ،دار إحياء التراث العربي، بيروت ،(د. ط) ، 1975، ص 10.

[23] عبد اللطيف الحديدي ،فن السيرة بين الذاتية والغيرية في ضوء النقد الحديث، دار السعادة للطباعة، القاهرة، ط1، 1996، ص 67.

[24] شرف عبد العزيز، أدب السيرة الذاتية ، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، مصر، 1992، ص 27.

ويعرفها فيليب لوجون، في قوله: إن السيرة الذاتية هي: " حَكْيٌ اسْتِعَادِي نثري يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص، وذلك عندما يركز على حياته الفردية أو على تاريخ شخصيته بصفة خاصة" [25] ؛ أي أن سارد السيرة الذاتية يذكر ويقص حياته ويقدم مسار أفكاره و أحاسيسه كما هي في الواقع. لذا يجب على كاتب السيرة أن يلتزم بالصدق عند كتابة سيرته، حتى يقترب من قلوب القراء ، وأن يفصح عن دوافعه التي جعلته يكتب سيرته.

وإن كتابة السيرة الذاتية في مرحلة متأخرة من العمر تمنح مؤلفها فرصة الخبرة في الحياة بصورة ناضجة ، وتعطيه فرصة الاستفادة من تجارب حياته .

و السيرة الغيرية أقدم زمنا من السيرة الذاتية، لأنها برزت مع التأريخ للأدب. فمنذ وجود الحضارات، جعل الكتاب يؤلفون فيها ، فكانوا يكتبون ما كان يجري في عصورهم من نشوء و تطور ؛ فأرَّخوا للملوك والسلاطين، وللحروب والمحاربين. ومعظم هذه الأعمال تندرج تحت مفهوم **السيرة الغيرية**

المكونات الفنية للسير الذاتية للأدباء :

يقول يحي إبراهيم الدايم: إن ملامح السيرة فيما يلي :

_أساليب التعبير .

_الكشف عن الغاية .

تصوير مرحلة الطفولة .

_الكشف عن أثر الوراثة و البيئة.

الصدق و التجرد و الصراحة.

[25] فيليب لوجون، السيرة الذاتية، الميثاق والتاريخ الأدبي، ترجمة عمر حلي، دار النهضة، بيروت، ط1، 1994، ص 10.

_تصوير الصراع.

_تصوير فترات زمنية متفاوتة .

_ دلالة الأسوب على شخصية كاتبه.[26]

بالإضافة إلى هذه الخصائص التي تعتبر جوهر الإشكال الأجناسي بين السيرة و غيرها. و منها:

_تمظهر الحياة الواقعية في مضامين الأعمال للسير الذاتية بعيدا عن العالم المتخيل.

حضور الأنا في نسيج التجربة التي يؤنثه .

_اعتماد تقنية التجاوز الزمني و اختصار المسافات حتى تبدو الحياة بهذا الطرح كتابا مفتوحا على التأويل و الاتعاظ و الاستفادة و المتعة الفنية أيضا .

_ترفق غالبا بعناوين شارحة تبين انتماء هذا النوع من النصوص؛ ذرءا لأي لبس يضع القارئ في متاهة المعضلة الأجناسية.

_ و لا يستثنى في هذا الصدد صلة السيرة الذاتية بكتابة التاريخ . إذ تلتقي به في تحريها للأحداث و توخيها الصدق في نقلها و اعتمادها على المدونات و الوثائق ذات الصلة . وسريان البعد التاريخي في أوصال الحياة الفردية [27]

[26] يحي إبراهيم عبد الدايم ؛ الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث؛ص153/133

[27] عبد الحق بلعابد "عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناصٍ" ط1 الدار العربية للعلوم ناشرون .بيروت لبنان 2008 ط1 ص125/124

ثالثاً : تطور السيرة الذاتية :

أ–في الأدب العربي :

تعد السيرة النبوية من أقدم التراجم و السير ظهورا واتساعاً عند العرب من المؤرخين والكتاب، وظل مصطلح السيرة عصورا يقتصر استعماله على حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم تطور الاستعمال في عصور تالية، فاستعملت بمعنى : حياة الشخص بصفة عامة.[28]

ومع ازدهار الترجمة وتطور الكتابة العربية بأنواعها، بدأ الكتاب يتحدثون عن أنفسهم كما يتحدثون عن غيرهم، فبدأت تتسع ميادين السير ؛ إذ نجد " أول محاولة واضحة المعالم في كتابة السيرة الذاتية في الأدب العربي، تعود إلى القرن الثالث الهجري، على يد حُنين بن إسحاق (ت 260هـ/783م) الذي يعد أكبر مترجم لكتب (غالينوس)، وقد صور حُنين بن إسحاق في رسالته ما أصابه من المحن والشدائد معبراً عن مدى حزنه. ويعد هذا أقدم نص في الترجمة الذاتية العربية " .[29]

و الجاحظ أبو عثمان (159) هـ - 255 هـ) تحدث عننفسه في كتبه ورسائله، مثلما ورد في رسالتي (التربيع والتدوير) و(المعاد والمعاش).وقد صوَر بعضهم كل ما أثر في تكوينهم العقلي، كما ذكروا الآثار العلمية التي أسهموا فيها في المجال الثقافي ؛ مثلما فعل البيروني والرازي وابن الهيثم والسخاوي والسيوطي... و الحارث المحاسبي، والإمام الغزالي ، وابن الجوزي و الشعراني ..، كي تكون نماذج حيواتهم قدوة وأمثلة يحتذيه الناس، ويهتدون به، ويقتفون أثرها.[30]

---

[28] يحي إبراهيم عبد الدايم،"الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، (مرجع سابق)،ص 31.

[29] شرف عبد العزيز،"أدب السيرة الذاتية"،(مرجع سابق)،ص 52.

[30] جانجي موريس،"السيرة الذاتية وإشكالاتها"،شؤون أدبية ، ع6، 1988، ص 76.

و في القرن الرابع الهجري يعد محمد بن زكريا الرازي (المتوفى سنة 313هـ/925م) من أوائل الفلاسفة العرب الذين ترجموا لأنفسهم ؛ إذ نجد ما كتبه مسجلاً في كتاب (عيون الأدباء في طبقات الأطباء) لابن أبي أصيبعة...، وقد كان الرازي من أكبر أطباء عصره وفلسفته، فترك رسالة يصف فيها سيرته. [31]

أما في القرن الخامس الهجري، فقد شهد تقدما ملحوظا في هذا المجال تمثل في ترجمة ابن سينا لنفسه، فقد وصف في ترجمته شطراً من حياته منذ عُني أبوه بتعليمه إلى سن الثلاثين من عمره، إذ قدم نفسه للقارئ بشيء من التفصيل، فقد تكلم عن الطريقة التي تعلم فيها الطب ، إذ يقول: " ولما أتممت أربع عشرة سنة، أخذت في تعلم الطب والفلسفة. لم يكن لي ما أنفق منه، فلذلك عرض لي من التعلم صعوبة ومشقة، فكنت مرة أتكسَب بصناعة النجوم، ومرة بصناعة الكب، ومرة بالتعليم إلى سن الثانية و الثلاثين، حين اشتهرت فيها بالطب ، وكفاني ما كنت أكسب بالطب، كان يفضل عندي إلى وقتي هذا، وهو آخر السنة التاسعة والخمسين، وكسبت فضلا من نفقتي أملاكا في هذه المدينة. "[32]

أما في أواخر القرن الخامس الهجري وأوائل القرن السادس الهجري، فقد ظهر الغزالي أحد مترجمي الصوفية وهو من صور سلوك المتصوفة الذين صنفوا أنفسهم وعرضوا سيرهم.

كما يعد أكبر عقلية خدمت الشريعة والتصوف، فقد وقف حياته على التوفيق بين الاتجاهين، ويعد كتاب (المنقذ من الضلال) أشهر كتب الصوفية في أدب الاعتراف بلا منازع، فقد ألفه الغزالي بعد أن عدة عمره الخمسين حين شاهد اضطراب الفرق، واختلاف المذاهب ، وتباين الملل، فشبه ذلك ببحر غرق فيه الآخرون، فأحب أن يقتحم لجة هذا البحر العميق، ويخوض غمرته، ويتوغل في ظلماته، وكان هذا بدافع من الله.

---

[31] شوقي شيف ،"الترجمة الشخصية ، شوقي شيف، دار المعارف، القاهرة، ط3، (د. ت)، ص 06.

[32] ابن أبي اصبيعة، "عيون الأنباء في طبقات الأطباء"، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965، ص 561.

يقول :" وقد كان التعطش إلى أن أدرك حقائق الأمور، التي هي أدبي وديني، من أول ريعان عمري، غريزة وفطرة من الله، وضعتا في جِبِلَّتِي لا باختياري وصلتي." [33]

وخلاصة القول إن السيرة الذاتية في الأدب العربي القديم، عاشت فترات انتقالية واضحة ضمن فترات زمنية متعاقبة.

ب . السيرة في الأدب الحديث

بدأت بذور هذا الفن بالظهور في الأدب الغربي على يد امرأة بريطانية تدعى "مارغري كامب " Margerie Kamp (c. 1373 – after 1438) ([34])، كما ورد في الموسوعة البريطانية. واستمر ذلك الفن بالتطور والانتشار في الآداب الغربية حتى وصل إلى شكله المعاصر.

وفي نهاية القرن التاسع عشر، بعد أن اتصل العالم العربي بركب الحضارة الغربية، ظهرت إرهاصات هذا الفن في الأدب العربي الحديث. وقد كانت هذه الارهاصات في معظم الحالات، وثيقة الصلة بالموروث التراثي، وفي بعض الحالات متأثرة بالأدب الغربي.

ومن هذه الارهاصات ما كتبه محمد بن عمر التونسي (1204 هـ1274هـ) ، (1789-1857م)([35]). في كتابه (تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان) عام 1832هـ ..، وصف فيه رحلته إلى السودان، وبه معلومات مفيدة عن تاريخ السودان الحديث. وهو الكتاب الذي اشتهر به ...

---

[33] أبو حامد الغزالي "المنقذ من الضلال"، مكتب النشر، دمشق، (د. ت)، (د،ط)، ص 76.

[34] *Le livre de MargeryKempe. Une aventurière de la foi au Moyen Âge* (1436), Le Cerf, 1989 **MargeryKempe** (vers 1373 - vers 1436 ou après 1438) est une mystique anglaise, auteur du *Book of MargeryKempe*, considérée par certains critiques comme la première autobiographe d'expression anglaise.(ويكيبيديا MargeryKempe — Wikipédia)

[35] . محمد بن عمر التونسي ـ عالم بمفردات اللغة واصطلاحاتها. ولد بتونس ورحل إلى السودان ومصر.(ويكيبيديا، الموسوعة الحرة)

بدأ محمد بن عمر سيرته بالحديث عن تعلمه للعربية، ثم تحدث عن الوظائف التي شغلها، وبعد ذلك تحدث عن رحلته إلى بلاد السودان(دافور) إذ كان الباعث على الرحلة هو البحث عن والده، الذي غادر مصر ولم يعد لتونس.[36]

ونجد أيضاً أحمد فارس الشدياق (1804-1887)في كتابه (الساق على الساق فيما هو الفرياق) الذي ترجح الكاتبة : "رضوى عاشور "كفة رواية الشدياق "الساق على الساق" بأنها الرواية العربية الأولى على الإطلاق ([37]) .تحدث في كتابه هذا " عن نفسه، وراح يطل علينا من خلال تنقلاته بين مالطا وانجلترا و فرنسا ، ليفصح عن آرائه وسخريته، ونقده الاجتماعي اللاذع لكثير من عادات الشرق والغرب، فعرض في كتابه للحياتين الشرقية والغربية، ذلك أنه كان كثير الانغماس في التجارب ، ويحاول أن ينهل من كل بيئة يحل فيها. فكان كتابه هذا ترجمة ذاتية تصف حياة صاحبها منذ مولده، ولكن يؤخذ عليه أنه كان ينقل الأحداث على طريقة التذكر، غير مراع ترتيب المواقف والأحداث ترتيبا زمنيا " .[38]

ومن الذين كتبوا سيرهم في القرن التاسع عشر **علي مبارك**(ولد 1823م.1239)هـ (ت 1893م .1311هـ.)

الذي كتب سيرته عام 1889م ، قبيل وفاته بأعوام قليلة، ضمن كتاب (الخطط التوفيقية)([39]) ، يقول في مقدمة كتابه : " دعتني نفسي لتأليف كتاب وافٍ بما لمصر من قديم وحديث، متضمن لذكر مبانيها الدائرة والموجودة، وما يتبع ذلك من أخبار أربابها، وذكر نيلها ومنافعه وكيفية تصرفاته ومواضعه.."([40])

---

[36] تهاني عبد الفتاح ،"السيرة الذاتية في الأدب العربي"، دار فارس للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2002، ص 70.

37. "رضوى عاشور " أحمد فارس الشدياق (ويكيبيديا، الموسوعة الحرة)

[38] أحمد فارس الشدياق ، الساق على الساق فيما هو الفرياق، مكتبة العرب بمصر، القاهرة 1919، ص 80.

[39]. الخطط التوفيقية أهم أعمال علي مبارك، تصف بالتفصيل مدن مصر وقراها من أقدم العصور حتى عصره، واصفًا ما بها من منشآت ومرافق عامة مثل المساجد والزوايا والأضرحة وغير ذلك، لذا يعد أطلس متكامل لمدن مصر على مر العصور.

40. ابراهيم العريس.. مقال بجريدة (معرفة) بعنوان : الخطط التوفيقية . www.marefa.org

يبدأ علي مبارك سيرته بالحديث عن مولده في قرية برنبال([41]) الجديدة، ثم يتحدث عن أصول عائلته التي كانت تسمى عائلة المشايخ لكثرة القضاة فيها.

وقد عنى عناية خاصة بالحديث عن مراحل تعلمه في مصر وفرنسا، ثم الحديث عن الوظائف التي شغلها. وقد كان يهتم بذكر التاريخ عند الحديث عن كل مرحلة من مراحل دراسته، وكل وظيفة شغلها. ومن أمثلة ذلك قوله : " فدخلت مدرسة قصر العيني سنة إحدى وخمسين ومائتين و ألف، وأنا يومئذ في سن المراهقة." [42] .

وكذلك قوله:"وفي شهر جمادى الآخرة، في سنة أربع وثمانين أحيلت علي وكالة ديوان المدارس." [43]

وتشترك سيرة علي مبارك مع سيرة كل من محمد عمر التونسي، وأحمد فارس الشدياق، بالتأثر بالتقاليد الموروثة للأدب العربي القديم.

واذا ما انتقلنا إلى القرن العشرين، فإننا سنطالع مجموعات كبيرة من الكتابات تتسم فيها ملامح الشخصية العربية، وقد بدأت تتبلور لتبرز ملامحها بعد رحلة البحث عن الذات التي عاشتها طوال القرن التاسع عشر.

وهكذا يبلغ فن الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث درجة من الرقي، ويضع الكثيرون من أدبائنا أيديهم على المكونات الفنية لهذا الجنس الأدبي، " فيكتبون أعمالا أدبية ربما يعد كل منها ترجمة ذاتية فنية تماثل في ملامحها معالم هذا الفن في الأدب الغربي." [44]

و كان كتاب (**الأيام**) لطه حسين (1306) هـ 15 / نوفمبر 1393 - 1889 هـ 28 / أكتوبر1973 م) " هو النص التأسيسي الأول لكتابة السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث،

---

[41]. وُلِدَ(علي مبارك) في قرية برنبال من مديرية الدقهلية (مصر)عام 1823م.1239) هوتوفي سنة 1893م .1311هـ.

[42]علي مبارك، "حياتي"، مكتبة الآداب، ط1، ص 12.

[43]المصدر نفسه ، ص 41.

[44]المصدر نفسه ، ص 79.

ففيه يتحدث عن طفولته وشبابه، ويعطي صورة متكاملة عن الظروف التي ساعدت في نشأته وأثرت في تكوين شخصيته، كما أنه قد أبدع في تصوير المعاناة التي عاشها في بيئة تحيا في ظل الموروثات القديمة و الخاطئة ". [45]

وقد ارتقت سيرة (طه حسين) في الأسلوب الأدبي "حتى صارت مدرسة خرجت فحول الأدباء، وأفرزت طائفة كبيرة من المتذوقين لهذا الفن ".[46]

وقد احتوت سيرته على جميع الأسس التي أقر النقاد بضرورة وجودها في فن السيرة الذاتية.

" و يمتاز فن السيرة بمجموعة من الخصائص تميزه عن باقي الاجناس الأدبية أهمها:

1_ايراد الاحداث وفق التسلسل الزمني حسب ما أوردتها المصادر القديمة .

2_تحري الدقة و الموضوعية و الاعتماد على الأدلة و البراهين القوية .

3_اعتماد العقل و البعد عن الهوى و التقيد الصارم بالحقيقة .

4_ اتخاذ الأسلوب القصصي الذي يقوم على السرد و اتباع المنهج المشوق .

5_ ضرورة ربط اشخاص السيرة ببيئتهم و كذا حياتهم السياسية و الدينية لمعرفةالتاثير و التاثر .

6_ الاعتماد على التحليل النفسي لاجلاء المواقف الغامضة و الوصول الى الاحكام الحقيقية .

[45] محمد البارودي، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، مجلة فضول، المجلد السادس عشر، العدد الثالث، شتاء 1997، ص 69.

[46] حداد عبد الوارث، النقد الأدبي، مطبعة رحاب ، المنصورة ، 1988،ص 144.

7. عرض الرويات المختلفة ان وجدت مع ترجيح الرواية الأكثر صدقا مع التدليل والبرهنة "[47]

وقد استعمل (طه حسين) في سيرته **الأسلوب القصصي الروائي**، الذي مكنه من رسم بعض الصور التامة للشخصيات المحيطة به، وتصوير شخصيته تصويرا مؤثرا. وقد تحدث عن نفسه بضمير الغائب ولعل هذا قد ساعده على التزام الصدق والراحة فيما يذكره من أحداث..، و كان حريصا على رصد الصراع الذي يدور في داخله، أو مع البيئة المحيطة به، فقد أصبحت سيرته أشبه بـ" مرآة صافية تعكس كل حياته بدون أي حجاب، أو أي مواربة." [48]

وقد سلط طه حسين الضوء في الجزء الثاني من سيرته على وصف غرف الرَّبْع الذي سكنه عندما كان يدرس في الأزهر، ورسم شخصيات الطلاب الذين كانوا يسكنون في تلك الغرف، وتشترك جميع الشخصيات التي رسمها بعدم المقدرة على إكمال الطريق الذي أتمه هو، ولعل طه حسين أراد من رسم تلك الشخصيات إظهار تميزه ونجاحه أمام اخفاق الآخرين. ليثير بذلك إعجاب القارئ بعد أن أثار شفقته عليه عندما تحدث عن معاناته بسبب فقد البصر([49]).

وبعد ذلك توالت الكتابات في السير الذاتية في الأدب العربي الحديث مثل (سبعون) لميخائيل نعيمة و (أنا) للعقاد و (البئر الأولى) لجبرا إبراهيم جبرا و (الخبز الحافي) لمحمد شكري.... وغيرهم الكثيرون.

ولعل سيرة **محمد شكري** ([50])(1935-2003م) (**الخبز الحافي**(Le Pain nu) من أكثر السير الذاتية صدقاً وصراحة في الأدب العربي الحديث ؛ " وكانت الصورة السردية داخل الرواية

---

[47] محفوظ كحوال ،"الاجناس الأدبية النثرية و الشعرية"،(مرجع سابق)، ص81

[48] شوقي ضيف، الترجمة الشخصية،(مرجع سابق)،ص 121.

[49]. المرجعنفسه ،ص123.

[50] -Mohamed Choukri (Berber: MuḥemmedCikri, Arabic: محمد شكري),born on July 15, 1935 and died on November 15, 2003, was a Moroccan(https://www.goodreads.com/book/show)

بشقّيها الأنثروبولوجي والتاريخي تكشف عوالم هذا الواقع وانزياحاته الاجتماعية المسكوت عنها. هذا الواقع الذي حرص السارد على أن يكتبه كما هو لا كما بدا له "([51])، فلقد تحدث الكاتب محمد شكري عن هجرة أسرته من الريف إلى طنجة (بشمال المغرب الأقصى) مشياً على الأقدام ، هروبا من المجاعة وبحثا عن الخبز الكثير، ولكن أسرته لم تجد ما كانت تحلم به فخاب ظنها، وهذا ما حفز الطفل على اقتحام عالم الكبار لاهثا وراء الطمأنينة المفتقدة.

" **الخبز الحافي** تصف عالما مترعا بالعنف والوجع والقسوة والجريمة... فالشرّ يحتل مكانة واسعة في رحاب الرواية، إذ على امتدادها الورقي نستنتج تطورا للشر زمانيا ومكانيا: زمانيا من مرحلة الطفولة وصولا إلى المراهقة، ومكانيا من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال..." ([52])

يبدأ محمد شكري سيرته بقوله: " أبكي موت خالي والأطفال من حولي ، يبكي بعضهم معي. لم أعد أبكي فقط عندما يضربني أحد أو حين أفقد شيئا، أرى الناس أيضا يبكون، المجاعة في الريف، القحط والحرب.... دخل أبي، وجدني أبكي على الخبز، أخذ يركلني ويلكمني: اسكت، اسكت ستأكل قلب أمك يا ابن الزنا." [53]

بهذه العبارات بدأ محمد شكري سيرته، وتتوالى الأحداث وتصل عائلته إلى طنجة ، ولكن الحلم تبخر.... فالحصول على الخبز ليس بالسهولة التي ظنوها، وحياتهم هنا لن تكون أسهل من حياتهم في الريف.

امتهن الكاتب الطفل حِرَفاً وَضِيعَةً، فعمل نادلا ثم خادما فبائع جرائد، ثم انتقل ليساعد أمه في بيع الخضار ثم ماسح أحذية، فحمالا فمهربا، متنقلا بين طنجة وتطوان ووهران. كان يشفق على أمه ويكره أباه لأنه قاس وفَظ يجبره على العمل للاستفادة من أجرته في إشباع نزواته

---

[51]. جميل فتحي الهمامي . إعلامي تونسي ، باحث في الحضارة العربية ، كاتب و روائي ، متوّج في العديد من المحافل العربية و الدولية مقال بعنوان : كيف دافعت رواية "الخبز الحافي" عن نفسها؟ شبكة الجزيرة الإعلامية 18/5/2018.

[52]. المرجعنفسه .

[53]محمد شكري، الخبز الحافي، دار الساقي، بيروت، ط4، 1996، ص 9.

الشخصية ..،" فأصبح من رواد بيوت الدعارة الدائمين، ولكي يستطيع أن يصل إلى تلك الأماكن كان لابد من توفر المال بين يديه.. فوجد الطريق في التشرد، والعمل في الأعمال الوضيعة، حتى وصل إلى العمل مع المهربين، فهناك المال أكثر" .[54]

وهكذا كان عالم محمد شكري الأصلي؛ عالم بدائي وحشي عالم طفولة مشردة، عالم قاع المدينة السفلي بما فيه من سكارى ومهربين ومنحرفين ولصوص.
سيحكي حياته ويكتب سيرته، التي قد تكون قساوة الأب هي التي تقف وراء اشتغال خياله..، وقد تكون قساوة أبيه وراء رفضه الارتباط بالمرأة ، والزواج بالكتابة. ولعل هذا ما عبر عنه في قوله :«يضربني ويلعنني جهراً. أضربه وألعنه في خيالي. **لولا الـخيـاللانفجرت**.» (الخبز الحافي).

الخبز الحافي : " رواية (**أوتوبيوغرافية**) تنقل المعيش إلى الرواية .. ، وتنطلق من يقين القدرة على قول الحقيقة حول الذات، ملتزمة بقول الصدق.([55])
يعلن الكاتب في الغلاف عن جنس مؤلَّفه(ص**4**)هذا فيعتبره **رواية،** ويقول في الكلمة التي افتتح بها كتابه : "... هذه الصفحات عن **سيرتي الذاتية** كتبتها ..."([56]).

وازداد ظهور السيرة الذاتية بشكل ملحوظ في الثمانينات من القرن العشرين .ففي عام 1985 ظهر الجزء الأول من سيرة (فدوى طوقان)([57]) بعنوان (رحلة جبلية رحلة صعبة) ،

---

[54]احسان عباس، "فن السيرة "، (مرجع سابق)،ص109.

[55]- حسن المـودن (ناقد من المغرب) مقال بعنوان : الكتابة والعنف (شكري – الخبز الحافي) نموذجاً. مجلة **نزوى** ع 56 أكتوبر 2008.

[56]. المرجع نفسه.

57. فدوى طوقان (1917 . 2003م) من أهم شاعرات فلسطين في القرن العشرين من مدينة نابلس. من مؤلفاتها : كتاب **رحلة جبلية، رحلة صعبة،** وهو الجزء الأول من السيرة الذاتية للشاعرة، صدر عن دار الأسرار عكا سنة (1985م) ثمّ نشرته دار الشروق بعمان (1985-1989م). ينظر:موقع :**موضوع2021**معلومات عن حياة فدوى طوقان .كتابة : سميحة ناصر خليف.

وهي أكثر سيرة ذاتية فلسطينية نالت اهتماما من الكتاب والنقاد، ذلك لأنها خطَت خُطوات كبيرة في عالم فن السيرة، ولأنها تعبر عن سيرة ذاتية نسائية عبرت فيها عن الحياة التي يعيشها عالم الحريم في المجتمع العربي بصفة عامة، والفلسطيني بصفة خاصة.

تقول الدكتورة خيرية قاسمية: " المرأة العربية لم تكتب عن همومها إلا بالرمز والتلميح والإشارة. وجاءت فدوى تبوح بكل شيء، في أسلوب بالغ الجمال والعذوبة. " [58]

بدأت فدوى طوقان سيرتها منذ مرحلة الطفولة، فتقول:"عشر مرات حَملت أمي، خمسة بنين أعطت إلى الحياة ، وخمس بنات. ولكنها لم تحاول الإجهاض قَط إلا حين جاء دوري.." [59]

وتتدرج بعد ذلك الأحداث في سيرتها، بترتيب زمني منطقي متسلسل مع وجود بعض الاستقراءات لتبين عجزها عن إتمام دراستها، والصراع الداخلي و الخارجي الذي كانت تعانيه." وجاء الربيع. وعرفت هذا الشيء المسمى حبا، والذي ظل يشرنق حول وجودي إلى مالا نهاية... فقدت شهيتي للطعام، ولأول مرة عرفت الأرق الجميل المليء بالأخيلة والتصورات الهائئة... ،ثم حلت اللعنة التي تضع النهاية لكل الأشياء الجميلة كان هناك من يتابع المراقبة ، فوشى بالأمر لأخي يوسف. ودخل يوسف علي كزوبعة هائجة.... أصدر حكمه القاضي بالإقامة الجبرية في البيت حتى يوم مماتي.. ،كما هددني بالقتل إذا تخطيت عتبة المنزل، وخرج من الدار لتأديب الغلام ." [60]

وربما كان الضغط والقمع المضاعف للمرأة ، قد وهب لفدوى طوقان ، فرصة تشكيل خصوصية أسلوبية وموضوعية في كتابة السيرة الذاتية.

---

[58] خيرية قاسمية، المذكرات والسير الذاتية الفلسطينية، الموسوعة الفلسطينية قسم الدراسات، المج الثالث، بيروت، ط1، 1990، ص 861.

[59] فدوى طوقان،"رحلة جبلية رحلة صعبة"، ط4، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان ، 1999، ص 95-96.

[60] المصدر نفسه، ص 54-55.

لقد أمسكت فدوى طوقان في "**رحلة جبلية رحلة صعبة** " بأدوات من التعبير الفني ساعدت على تجسيد تجربتها المتطورة بلغة مشرقة شفافة و أفضت إلى مزيد من البوح والكشف والصراحة في هذه التجربة.([61])

ج – كتابة السيرة في الأدب الجزائري :

لقد بدأت بواكير السيرة الذاتية الأدبية في حقل الأدب الجزائري الحديث، مع الكاتب الشاعر "**رمضان حمود**" ([62]) من خلال عمله الإبداعي:(الفتى) سنة 1929.

وقد قال عنه الشيخ عبد الحميد بن باديس([63]): " كان هذا الشاب الأديب الناهض رُكناً من أركان النهضة الأدبية بالجزائر، ولو أمهلته الأيام لكان نابغتها في الأدب بمعناه الصحيح "([64]).

أما المحاولة الثانية التي أرهصت لميلاد هذا الجنس الأدبي في سماء الجزائر، فتعود للأديب "عبد المجيد الشافعي" بعنوان (ذكريات من بعيد) : وقد نشرت سنة 1945 بجريدة العبقرية، حيث تطرق فيها الكاتب إلى ذكريات الطفولة، وعن ظروف تمدرسه، معرجا على الحياة الاجتماعية التي عاشها رفقة عائلته.

ولا يمكن أن نبرح مرحلة الارهاص، دون أن نقف عند رجل من رجالات الجزائر الصناديد، وأديبا من أدباءها العظماء، وهو الشيخ البشير الابراهيمي الذي حاول في العديد من ابداعاته أن يكتب عن الذات في بطاقات فنية، ومن أبرزها ما هو منشور في مجلة الثقافة، في العدد

---

[61]. خيرية قاسمية، المذكرات والسير الذاتية الفلسطينية،(مرجع سابق)، ص 861.

[62]. رمضان حمود بن سليمان بن قاسم (1348 – 1324. هـ / 1906 - 1929 م)فاضل، من أهل الجزائر، مولده ووفاته في غرداية (من أرض ميزاب) تعلم بتونس.له (بذور الحياة) و(كتاب الفتى) في التربية والأخلاق.

. ينظر:**بوابة الشعراء**info@poetsgate.com .

[63]. الإمام عبد الحميد بن باديس **1358–1307**)**هجرية**) **الموافق لـ (4 ديسمبر 1889 – 16 أبريل 1940**) من رجال الإصلاح في الوطن العربي ورائد النهضة الإسلامية في الجزائر ، ومؤسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين(ويكيبيديا . الموسوعة الحرة).

[64]- جريدة **الشهاب**،الجزء الثاني المجلد السادس، الفاتح شوال 1348 هـ/ مارس 1930، ص 107.

السابع والثمانين الذي خصص له، أو ما هو مدون في كتاب (شعراء الجزائر في العصر الحاضر) [65]

وقد كتب (**مولود فرعون**)([66]) رواية (ابن الفقير)،"وهي **خليط من الرواية والسيرة الذاتية**، يقول عنها : " كتبت رواية (ابن الفقير) إبان الحرب على ضوء شمعة ووضعت فيها **قطعة من ذاتي** " . (ابن الفقير) شاهدة على عصر وحقبة شديدة التوتر والحساسية في تاريخ الجزائر. وكما يحدث دوماً كان فن الرواية هو الوسيلة المثلى لسرد التاريخ، ليظل حياً كقطع من واقع مضى.

و " تمثل رواية (ابن الفقير) باكورة أعمال مولود فرعون الأدبية، والتي كتبها وأنهاها عام 1939، وطبعها على حسابه الخاص، ولقد تتبع فيها الكاتب (مولود فرعون) حياته وطفولته في القرية الصغيرة تيزي وزو ، ثم كفاحه بالدراسة حتى وصوله لما يريد.. ، وكانت قريته هي بطل الأحداث بكل تفاصيلها وتقاليدها وعالمها الفريد. عرَّفَ القارئ من خلالها على الأوضاع الاجتماعية في المجتمع بذلك الوقت ، و التقاليد المتبعة، والظروف الاقتصادية الطاحنة التي دفعت الأب إلى الهجرة إلى دولة مستعمرة حتى يستطيع إعالة عائلته، ومن خلال رسائل الأب مع ابنه تعرفنا على حياة المهاجرين في غربتهم الإجبارية، والمعاملة السيئة والمهينة" ([67]).

و " يُعدّ مولود فرعون (1913 - 1962)، أحد مؤسّسي الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية، إلى جانب محمد ديب ومولود معمري وكاتب ياسين .بل إن الناقد الفرنسي المختصّ في الأدب الجزائري، جان ديجو (1921 - 1993)، يرى في كتابه "الأدب الجزائري المعاصر" أن الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية، وُلد، في واقع الأمر، مع صدور

---

[65] الحاج جغدم، تيمات السرد في سيرة عبد المالك مرتاض، مجلة "دراسات لسانية" العدد 08، م2، جمادى الثانية 1439هـ/ مارس 2018، ص 283.

[66]- وُلد مولود فرعون في 18 مارس عام 1913، في قرية تيزي وزو لعائلة فقيرة، وفرعون ليس اسم عائلته، بل كانت السلطات الفرنسية في هذه الفترة تقوم بتسمية العائلات الجزائرية في القرى وقررت إطلاق هذا الاسم على أسرته، بينما كان الاسم الأصلي هو (**شعبان**).

[67]- علياء طلعت ـ مقال بعنوان : (مولود فرعون .. ''ابن الفقير'' الذي خلد القرية الجزائرية القديمة) عالم الإبداع

PALMYRA MEDIA LIMITED 2011 –2021

رواية "ابن الفقير" لـ فرعون مطلع الخمسينيات" ([68]) ، وهي أهم عمل جزائري تهافت العديد لترجمتها إلى حوالي 25 لغة عالمية، لما تضمنته من أفكار وقيم إنسانية عظيمة([69]).

و " في السنوات الأخيرة ، وبفعل الاحتكاك والتفتح على مختلف الثقافات، راح بعض الكُتاب يكتبون عن حياتهم وعن تجاربهم الخاصة من ضمنهم القاص " الطاهر وطار" ، "مرزاق بقطاش" ، "عبد الله الركيبي" .... وغيرهم .[70]

كما أنه أجمع النقاد على أن النشأة الفعلية للسيرة الذاتية الناضجة قد بدأت مع المرحوم " **عمار بلحسن**"([71]) الذي كتب (يوميات الوجع) ، وفيه سيرة مُثقف يئن تحت وطأة المرض الذي ألم به، فلم يجد سوى الكتابة أنيسا له .

قال (**عمار بلحسن**) حينما سُئل عن رأيه في الكتابة عموماً": "عرفتُ الكتابة طقساً سحرياً لتصفية النفس من القلق وإنزال الطمأنينة وطرد التعب من الروح والجسد .. الكتابة طقس للتطهر .. وهي لعبة تدمير و تشكيل متخمة بالمعاناة و الاحتراق والتفاعل، مع ما تراكم من تجارب. ... والنص القصصي هو خطاب أو قول لغوي خصوصي، هو لغة معجونة بمواد الحياة والإيديولوجية.."([72])

عمَّار بلَّحْسن كاتب مختلف عجن في حياته القصيرة بين السوسيولوجيا والشعر والقص.

---

[68]. بوداود عميّر . مقال بعنوان : مولود فرعون.. ابن الفقير في دروبه الصاعدة " العربي الجديد" 09ابريل 2017." ، موقع وصحيفة عربية دولية، يصدر عن شركة فضاءات ميديا ليمتد، العاصمة البريطانية، لندن.

[69]. المرجع نفسه.

[70]عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص 98.

[71]. **عمَّار بلَّحْسَن** ؛ كاتب وروائي وعالم اجتماع جزائري ، ولد يوم 13 فيفري 1953 في منطقة (**مْسِيرْدَة**) بولاية تلمسان غرب الجزائر . يكتب باللغة العربية في جميع المجالات الأدبية والاجتماعية ويؤرخ للجزائر وهو من المدافعين عن اللغة العربية والهوية الجزائرية .. توفي يوم 29أوت 1993 بمرض السرطان. ويعتبر الأديب والسوسيولوجي الراحل بلحسن رائدا من رواد البحث في سوسيولوجيا الرواية والقصة في الجزائر

[72]- عمار بلحسن ، في حوار مع : مجلة ''مواقف'' في عدد 52/51 لشهر يوليو من سنة 1984.

ونجد أيضا سيرة الكاتبة الجزائرية (**زهور ونيسي**)([73]) بعنوان (عبر الزهور والأشواك) الصادرة عن دار القصبة سنة 2012.

زهور ونيسي، جمعت مسار حياتها في عملها الموسوم بـ "عبر الزهور والأشواك – مسار امرأة" وهي سيرة ذاتية .تغترف الكاتبة في هذه السيرة الذاتية من أحداث الماضي ، وقد استندت الكاتبة فيها إلى تقنية الاستذكار ؛ إذ تقول : "طفولتي كانت طفولة سعيدة رغم الظروف الصعبة التي كانت تحيط بالطفولة كلها في بلادي " ، وتقول في موضع آخر والذي تسترجع فيه ذكرياتها مع جدتها ، فتقول : " كنت عندما تبرد يداي في فصل البرد والثلوج، تأخذهما بين كفيها المعروقتين، وتفركهما، وتنسف فيها من نفسها الدافئ "([74]).

تسرد الكاتبة سيرتها بصدق وواقعية ؛ وتبوح بتفاصيل حياتها وبمواضيع تخص المرأة والمجتمع ؛ إذ تصرح بذلك في قولها: "قررت أن أكسر كل الطابوهات وأقول كل شيء بصدق وأمانة ، لأن ما سأكتبه في هذه السيرة إنما هو وثيقة اجتماعية تخص المرأة والمجتمع"([75]).

وفي سنة 2003 م تطالعنا (دار هومه) للطباعة والنشر والتوزيع – الجزائر.، بمولود جديد ، للأديب الناقد (**عبد المالك مرتاض**) أطلق عليه اسم :" الحفر في تجاعيد الذاكرة "، وأعيد طبعها في الندوة الفكرية الدولية التي نظمها مختبر السرد العربي بجامعة قسنطينة سنة 2014.

"**الحفر في تجاعيد الذاكرة**" : هي سيرة ذاتية متفردة جادت بها قريحة الكاتب : عبد المالك مرتاض الذي عرفناه كاتباً روائياً وناقداً منظِّراً ؛ مثل رواية: (نار ونور)، (دماء ودموع) ، (

---

[73]. زهور ونيسي، ولدت ديسمبر عام 1937 ، في مدينة قسنطينة .و هي كاتبة جزائرية وشخصية سياسية ..

[74]. زهور ونيسي، عبرالزهوروالأشواك،ص 74... ص76.

[75]- المصدر نفسهص 143.

صوت الكهف) و (مرايا متشظية)... الخ . ودراسات أدبية مثل : (التحليل السيميائي للخطاب الشعري) و (في نظرية الرواية) ، و (نظرية النص) ...الخ.

وقد سردَ في هذه السيرة حياته في لوحات بديعة جمعت بين لطافة العبارة وجمالية اللغة ؛ إذ يحكيها بلغة مدهشة فيها الكثير من الألق والتجذر في تراب الجزائر([76]). فيصور لنا من خلالها أطوار الحياة التي عاشها منذ طفولته إلى حين تخرجه من جامعة السوربون بباريس . واتخذت هذه السيرة من التجربة الشخصية بؤرة سردها، فكانت حياة الكاتب الخاصة هي المدار والحدث البارز فيها .[77]

ومن ناحية أخرى تعد هذه السيرة بحق وسيلة لعرض طبيعة عيش الجزائريين في فترة معينة من الزمن، كما تعد أيضا لوحة فنية إبداعية تبرز الجمال الطبيعي للمكان والموروث الفكري والثقافي من عادات وتقاليد عند أهالي المنطقة .

[76]. عبد السلام يخلف . جامعة قسنطينة . مقالبعنوان : السيرة العارية في كتاب "الحفر في تجاعيد الذاكرة" لـ :
(عبد المالك مرتاضنشر بتاريخ: 02 تشرين1/أكتوبر 2017 بجريدة(النصر) الجزائرية .

[77]الحاج جغدم، تيمات السرد في سيرة عبد المالك مرتاض،(مرجع سابق)، ص 285.

الفصل الثاني :

البعد الاجتماعي في سيرة :" الحفر في تجاعيد الذاكرة ".

1ـ العادات والتقاليد

2ـ الأسواق

3ـ أماكن التعليم والعبادات.

4ـ الاستعمار

5ـ لغة البيئة في السيرة

البعد الاجتماعي في سيرة :" الحفر في تجاعيد الذاكرة ".

تمهيد

جاءت سيرة عبد المالك مرتاض " الحفر في تجاعيد الذاكرة " مليئة بالعديد من المميزات والأبعاد الاجتماعية التي تروي لنا طبيعة العيش ، والأحداث التي عايشها في زمانها .

أولا : العادات والتقاليد :

تشكل العادات والتقاليد حصيلة التجارب في حياة الناس بالبيئة التي عاش فيها الكاتب ، والتي تتميز بكونها مليئة بالأحداث ؛ فالعادات هي كل ما قد اعتاده الناس ، وقاموا بتكراره في العديد من المناسبات المختلفة، وأما التقاليد فهي القيام باتباع ما قد قام به الجيل السابق وتوارثه . ومن هذه العادات والتقاليد نذكر ما يلي :

1-غزل الصوف:

غزلت الصوف وفتلته خيوطا هي حرفة قديمة قدم النسيج ، يتم فيها فتل الألياف الطبيعية أو الاصطناعية مع بعضها لتشكل خيطا يستخدم في صنع أدوات بسيطة.

ولقد عرفت هذه الحرفة بمنطقة "مسيردة"(**msirda**) ([78])حسب ما ورد في رواية الحفر في تجاعيد الذاكرة لعبد المالك مرتاض والبارزة في قوله :" ربما أَقْدَمُ ذكرى لا تبرح تحتفظ بخيوط واهية منها في نفسك هي حين كنت تتعلق في رقبة أمك وهي قاعدة تغزل الصوف ".[79]

2-الشَّاشِيَّةُ([80]):

هي قبعة رجالية تلبسها العديد من الشعوب الإسلامية، وهي تدخل ضمن اللباس التقليدي في المغرب العربي، وهي ذات لون أحمر في الغالب .

---

[78]- **مْسِيرْدَة** : منطقة كائنة في أقصى الشمال الغربي على الحدود الغربية للجزائر مع المغرب، وتتكون من عدة قبائل، منها : قبائل عربية الأصل ومنها قبائل بربرية ومنهم أيضًا من الأندلس.

[79]عبد المالك مرتاض، الحفر في تجاعيد الذاكرة ، اتحاد الكتاب الجزائريين ، الجزائر ،ط1 ، 2003ص 08.

[80]مصدر سابق' صفحة نفسها .

إذ نجد عبد المالك مرتاض يذكرها في سيرته حين يقول : " لكن الذي أفلت من قبضة النسيان، بل ربما تذكره ذكْراً يقيناً، أن رأسك كان حليقاً إلا من قُصَّةٍ كانت تنوس على قذالك فتتدلدل على قفاك... و كان على رأسك في الغالب، **شَاشِيَّةٌ**[81]حمراء لَوْنُها قَانٍ ".[82]

3–الصبانة :

الصبَّانَةُ: آلة يدوية" مشتقة من الصابون، وهي عبارة عن آلة خشبية مسطحة عرضها زهاء خمسة سنتميترات، وطولها زهاء خمسة وثلاثين ، ولها مقبض مستدير الشكل. كانت الغاسلة تضرب به الثوب، إذ تضع عليه مادة**تيغِيغِيتْ**[83]وهي كلمة أمازيغية تستعمل حتى يزول الوسخ من على الثوب المغسول.

وقد وظفها عبد المالك مرتاض في قوله : " فكانت الغاسلة تبلل الثوب المتسخ أولا، ثم تضع فوقه طائفة من جذور**تيغيغيت**البيضاء، ثم تشرع في خبطها بالصّبَّانَةِ على صخرة ملساء مسطحة، ثابتة ثقيلة ، حتى يغتدي ذلك الثوب نظيفا ".[84]

4–الْحَمَّامُ :

لقد تحدث عنه عبد المالك مرتاض ووصف حياتهم آنذاك ؛ إذ قال : " الْحَمَّامُ لم يكن موجودا في أرجاء مسيردة كلها بأعاليها وأسافلها ، و بواديها و مداشرها، فكان الواحد منكم إذا وقع له غدير يغطس فيه، في أي فصل من فصول العام، غطس فيه ولم يبالِ...، فقد كنت تستحم في غدير بوادي **يحسوب** حين كانت السماء تجود بالغيث المدرار ".[85]

---

[81]. يطلق لفظ «الشّاشية»، وتجمع على «شواشٍ» في المغرب العربي على الطّاقية. وهي ذات لون أحمرَ في الغالب.

[82]عبد المالك مرتاض، الحفر في تجاعيد الذاكرة ، (مصدر سابق) ، ص 09.

[83]. **تيغيغيتْ** :لفظة أمازيغيّة تطلق على نبتةٍ كانت تنبت مع الزرع في فصل الربيع، فكانت تقطف قطْعاً بالسكّين، وتغلَى في الماء والملح ثمّ تؤكل مع الخبز، أو يُمرّقُ بها دشيش الشعير... وأمّا جذور تيغيغيت فكانت تُدَقّ دقّاً ثمّ تخلط بالملابس الوسخة ثمّ تدقّ بخشبة مخصوصة بعد أن تبلَّل بالماء، فكان هذا النّبتُ بمثابة الصابون الذي يستعمل في غسْل الملابس وتنظيفها... ولكن أين كان أولئك الفقراء البادون من مادّة الصابون التي كانت في حياتهم أعزّ من الكبريت الأحمر؟ ينظر : شبكة صوت العربية . لقاء مع الدكتور عبد المالك مرتاض . ,12/13 /2012.

[84]عبد المالك مرتاض، الحفر في تجاعيد الذاكرة ، (مصدر سابق)،ص 10.

[85].عبد المالك مرتاض، الحفر في تجاعيد الذاكرة ، (مصدر سابق)،ص 10.

5-الْوَعْدَة :

ظاهرة احتفالية؛ وتعرف أيضا بالزَّرْدَةِ ؛ وهي طقس دَوْرِي سنوي تقيمه العديد من العشائروالقبائل، حيث تجتمع بعض القبائل حول ضريح و تقيم المأدبة وتختلف من منطقة لأخرى وهذا ما أشار إليه عبد المالك مرتاض في روايته المشهورة :" -الفقيه يعمل وعدة للطلبة ..."[86].

6-الختان :

إذ يقول عبد المالك مرتاض : " وذلك بين الطلبة الذين كانوا يرتلون القرآن من وجهة ، وبين رجل كهل ضاوي الجسم، صغير الوجه، خفيف شعر اللحية التي كان شعرها مناصفة بين السواد والبياض، ولم تكن تعرفه من قبل، من وجهة أخرى. كان الكهل قابعا متوثبا وبين يديه قفة موقرة بالتراب، وبجانبه محفظة من الجلد عتيقة قد علتها أوساخ، وران عليها سواد. وكان في محفظة الشيخ موسى وبعض المرتفقات الأخرى... لم يكن ذلك الرجل الكهل إلا زعنان**الختان**."[87]

7-الخياطة :

وهي من الحرف القديمة، ومن أقدم المهن التي عاش منها الأهالي وكانت ماكينة الخياطة اليدوية في أغلب البيوت.

وهذه الحرفة بارزة أيضا في سيرة عبد المالك مرتاض والتي نلمحها في قوله : " فكان الشيخ الذي كان من حفظة القرآن أيضا يقرأه في الجنائز، يتأهب لموسم الخياطة تأهبا خاصا، فكان يزيت آلة خياطته البدائية العتيقة ... وكانت تنافسه الخياطة في مسيردة العليا كلها سيدة بولندية". [88]

---

[86] عبد المالك مرتاض، الحفر في تجاعيد الذاكرة ، (مصدر سابق)،ص 14.

[87] المصدر نفسه ،ص 15.

[88] عبد المالك مرتاض، الحفر في تجاعيد الذاكرة ، (مصدر سابق). ص 17.

إذ كان الصبيان يذهبون مع آبائهم إلى بيت السيدة الجميلة في بيتها الأنيق ، بدل أن يذهبوا عند ذلك الشيخ العجوز في دكانه الحقير، لتقيس لهم الثوب وتخيطه على مقاساتهم وهم مسرورون .

8-طحن الشعير باستعمال المطحنة اليدوية :

في القديم كانت تقوم النساء بجمع القمح أو الشعير من الحقول ، و القيام بطحنه بواسطة مطحنة يدوية تدعى أحيانا " **الرّحَى**" ، من أجل الحصول على الطحين لصنع الخبز .

وهذا ما لم يغفل عن ذكره عبد المالك مرتاض من عادات لأهالي مسيردة والظاهرة في قوله : " وكانت الفتاتان الطاحنتان تتعاقبان على طحن الشعير انطلاقا من وقت السحر. وكنتم أنتم تجدون في ذلك لذة لا تعدلها لذة من فعل **جعجعة الرحى** ".[89]

9-قطف التّين وتجفيفه :

التّينُ هو من أشجار الفواكه الموسمية، تنمو في معظم المناطق الدافئة المعتدلة. وقد ورد ذكره في القرآن الكريم . وحين نضجه تقوم النساء بقطفه والعمل على تجفيفه تحت أشعة الشمس ، وهذه أيضا من العادات المعروفة لدى أهالي مسيردة . ونجدها في قول عبد المالك مرتاض : " ولم تكونوا تعرفون الشبع الحقيقي إلا في موسم واحد من العام هو **موسم التّينِ**، فكنتم أثناء هذا الموسم السخي تباكرون تلك الأشجار فتقطفون منها ما نضج ... فكنتم تقطفون منها**بَاكُورَهَا** وتينها في سلة تحملونها إلى ظهر البجاني لتجفيف تِينِهَا تحت أشعة الشمس ".[90]

10-حرث الحقول :

الحرث هو عمل فيزيائي يهدف لجعل أفاق التربة السفلية إلى الأعلى، والذي يسمح بتهوية التربة وقتل النباتات الضارة والطفيلية وغير المفيدة.

---

[89] المصدر نفسه، ص 33.

[90] عبد المالك مرتاض، الحفر في تجاعيد الذاكرة ، (مصدر سابق) ، ص 37.

وكان هذا عمل الناس التي تعيش في القرى والأرياف، مثل قرى مسيردة إذ يخبرنا عبد المالك مرتاض بقوله : "وكانت الحقول متواصلة الحرث، متداخلة النَّبْت، بحيث كانت تبدو كأنها حقل واحد ممتد فلا تنقطع له الحدود ... وكنتم تشقون طرقاً في تلك الحقول العجيبة ".[91]

11-وعدة أَربُّوزْ([92]):

هي وعدة يقيمُها أهالي المنطقة كل سنة ، ظلت راسخة من عاداتهم وتقاليدهم . كما يقول عبد المالك مرتاض:"وأماالوعدة السنوية الكبرى التي كان أطفال **مسيردة** كلهم يترقبونها بشوق شديد، ويتحرقون تطلعا إلى قبول أوانها بتطلع متوقد، فهي وعدة **أربوز** المثيرة التي كانت تقام في الخريف حول بئر **أربوز**، فكانت تقام إما في أواخر سبتمبر، و إما في أوائل أكتوبر من كل عام ".[93]

12 ـ الفَلْيُ من القمل والصِّيب:

القمل هو عبارة عن حشرات صغيرة تعيش على جسم الإنسان وتتغذى على دمه، وظاهرة القمل وانتشاره كانت كثيرة الظهور قديما فلذلك نجد عبد المالك مرتاض يتطرق إليها في قوله :" وكانت جهود الوالدة في فَلْي شعر رأسك حين يتكاثف فيعشش فيه القمل لا تكاد تصنع له شيئا، فكأن فليها للقمل كان لا يزيده على شعرك وملابسك إلا تكالبا " [94]

وكان الكاتب لا يتردد في وصف تفاصيل عملية " .. «**الفَلْي**» التي كانت تبرع فيها النسوة إلى درجة أنها غدت جزءا من أوقات الراحة. متعة واجبة تمكنهن من تمشيط شعر الرأس من القمل والدوييات القذرة الهائمة المصاصة الأخرى كما **يفعل العسكر الفرنسي** آنذاك في الغابات بحثا عن المجاهدين." ([95])

أما **الصيب** فهي لفظة تطلق على بيض القمل. ونجدها في قوله : " وإذا كانت الوالدة إنما كانت موكلة بفَلْي أجناس القمل المختلفة ما بين أسود ، وكان يتكالب على شعور الرؤوس، و

---

[91] المصدر نفسه، ص 74.

[92] . **أربوز Arabouz**: قرية بمنطقة (مسيردة الفواقة) تلمسان (الحدود الجزائرية المغربية).

[93] المصدر نفسه ، ص 236.

[94] عبد المالك مرتاض، الحفر في تجاعيد الذاكرة ، (مصدر سابق) ، ص 12.

[95] ـ المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

ما بين أبيض و أسود، وكان يلزم الملابس ظهائرها و بطائنها، وما بين **صيب** لا يبرح يافعاً غير ضار، و ما بين بَرْغُوثٍ وهو دويبة سوداء طائرة يصعب التحكم فيها ".[96]

13-الاحتطاب من الغابة :

احتطاب الحطب أي جمعه. وحطب الحطاب بمعنى جمع الحطب وأعواد الشجر المتناثرة.

وقد كان جمع الحطب بغرض إيقاد النار للتدفئة أو لغرض آخر ، فإن له قيمة كبيرة وهو عادة لا يستغني عنها الناس قديما. وهذا ما أبرزه عبد المالك مرتاض في قوله: " وها أنت ... و لا تزال تهوي نحو غابة (الحريقة)... فأما أختك زليخة فقد كانت يومئذ تحتطب من الغابة، فكانت تجمع حزمة من الحطب الجزل ".[97]

14-رعي الأغنام :

هي مهنة يتناوب عليها من يعتني بقطيع الأغنام من شياه وخراف ويتخير لها أوفر المراعي وأطيبها، والرعي مهنة الأنبياء والرسل اختارها لهم الله وهم صفوة الخلق.

ولم تغب هذه المهنة عن سيرة عبد المالك مرتاض التي نجدها في قوله :" وكأن الرعاة كانوا قد انتشروا، في ذلك الضحى المتَضَوّع بعبق الأزهار، والمضمخة أرضه برطوبة النبات: بقطعانهم يرعونها الكلأ فترعى ...وكان حمودة هو كبير الرعاة بلا منازع ".[98]

15-التجوال في الغابات :

كان التجوال في الغابة والمشي بين أشجارها، من عادات سكان المناطق النائية لدرجة أنهم كانوا يعرفون كل شبر فيها وكل خباياها والبارزة في قوله :" ومع ذلك، تراك الآن لا تزال مُصِرّاً على الانحدار نحو غابة (الحريقة) ".[99]

---

[96] المصدر نفسه، ص 13.

[97] المصدر نفسه، ص 20.

[98] عبد المالك مرتاض، الحفر في تجاعيد الذاكرة ، (مصدر سابق)، ص 22.

[99] المصدر نفسه ، ص 26.

16-**تربية الدواجن** :

من العادات التي ورثها أهالي المناطق النائية عن أسلافهم تربية الدواجن للانتفاع من بيضها والتغذية على لحومها. إذ قال عبد المالك مرتاض: " وكان الدجاج ملْكاً خالصاً للوالدة التي كانت تقوم على إنتاجه بكفاءة عالية، فكانت الدجاجة الحاضنة تخرج بكتاكيتها إلى ما حول البيت". [100]

17-**القنديل** :

كان النساء هن اللواتي يصنعنه في بعض قرى **مسيردة**من الطين الأسود خاص به وكان يُملأ بزيت الطبخ، تغمس فيه **فَتِيلَةٌ**من الكتان، ثم يشعل ، وكلما اتقد طرف الذبالة حركت نحو الخارج من أجل الاتقاد قصد الإنارة التي كانت لا تدوم طويلا، وغالبا ما تجاوز وقت العشاء،كما هو في قوله :"وليلة سمعت أنت و أخوك.. صوتاً منكراً من تلقاء أعلى السقيف في الظلام. فاستيقظ أفراد العائلة ووقع النفير.. فتكلفتم إشعال قنديل بعد لَأْي و جهد جهيد". [101]

18 ـ **الصيد في الغابة** :

من الممارسات التي ورثها أهل المنطقة (مسيردة) عن أجدادهم كانت الصيد في الغابة وهي أهمها والتي لا يمكن الاستغناء عنها . كما في قول عبد المالك مرتاض : " وكنت أنت لاتزال تتكلف المضطرب في تلك الأوعار... وكان قصدك أن تصطاد بعض وكنات الحجل في حقل محمد قوشنان الخصيب". [102]

19 -**تسلق الجبال** :

[100] المصدر نفسه، ص 36.

[101] عبد المالك مرتاض، الحفر في تجاعيد الذاكرة ، (مصدر سابق)، ص 41.

[102] المصدر نفسه ، ص45 .

هي هواية يعشقها بعض الناس حاليا و متأثرين بها، كما أنها كانت موجودة منذ القدم ، ومن المعروف أن أهالي القرى والمناطق النائية كانوا متعلقين بها أشد التعلق، فكانوا يصعدون إلى قمم الجبال لاستكشاف أسرارها ، فالطبيعة بكل مناظرها الخلابة كانت جزءاً لا يتجزأ منهم.

وهذا ما أشار إليه عبد المالك مرتاض في قوله :" كنت كأنك تشرف على كل العالم من قمة جبلك تلك الاستراتيجية. ربما كان العالم كله هو ما ينتهي لديه أفق الرؤية لديك. كنت تحس بالخيلاء. كنت مَزْهُوّاً بهذه المناظر العجيبة المترامية التي كان يتيحها لك موقع جبل رأس العبادة الشامخ ".[103]

20-العيون والآبار :

العين أو النبْع : وهي نقطة تدفق المياه الجوفية خارج الأرض ، وهي تعتمد على مصدر مائي ثابت مثل تغلغل المطر أو ذوبان الجليد تحت الأرض .

كما يصفها لنا عبد المالك مرتاض في قوله : "وكانت العيون والآبار ، وكل مدافع الماء ، والتي كان أهل القرى المجاورة لها ، يستقون منها الماء ".[104]

21-الْحَلْفَاءُ:

الحلفاء نبتة يجنيها الفلاح ويجففها بعد نزعها من منبتها ، وتستعمل لصنع وفتْل الحبال منها والتي نجدها في قوله :" إن النساء هن اللواتي يستقين الماء، في الغالب بجِرَارٍ طينية يشدُدْنها بحبال على ظهورهن، فكان الحبل المفتول من الحلفاء اليابسة المغدرة يربط في أحد مقبضي الْجَرَّةِ ".[105]

22-ركوب الحمير :

[103] المصدر نفسه، ص 48.

[104] عبد المالك مرتاض، الحفر في تجاعيد الذاكرة ، (مصدر سابق)، ص 81.

[105] المصدر نفسه ، ص 81.

لقد كانت الحمير والبغال هي وسيلة نقل يستخدمها الناس لقطع المسافات سواء البعيدة أو القريبة، وكذلك كانت تستخدم في حرث الأراضي. فيقول عبد المالك مرتاض :" ومنذ ذلك اليوم أمسى الوالد لا يكاد يتحرك، حتى لو كانت المسافة المقطوعة لا تجاوز مئات من الخطوات، إلا على متنه الوثير...،وتطورت العلاقات بين الوالد والحمار، فكان إذا تنقل عليه ليلا لشهود وعدة من الوعدات كان يسرج له ، وإذا عاد ليلا في الظلام، علَّق عليه فانوساً مشغلا بالبطارية ".[106]

ويصف الكاتب هذا الحمار الجميل ، فيقول : " .. وكنتوأنتتمتطيمتنه،وأنتتمربين الدوروالدشور،وأنتتعوجعلىمواقع الماءوآباروعيون،كانالفلاحونفيحقولهمالمجاورةللطريقالعاملايزالونيسألونكعنالسعرالذياشتريتمبههذاالحمارالفارهالجميلالأنيق ..وكنتأنتتجيبهمبأيكلام،فيخيلاءقلّلهاالنظير"([107])

23 –المطامير :

مفردة (مَطْمُورَة) ج مطامير ، وهي حفر في الأرض تستخدم لادخار الحبوب والخضر من طرف الفلاحين ، فهي تعد بمثابة غرف للتبريد.

كما يخبرنا عبد المالك مرتاض في قوله : " كما اضطر الأغنياء إلى الفزع إلى مطاميرهم المدخرة التي كانت موقرة بالشعير ".[108]

24–الْبْقُوقْ([109]):

---

[106] المصدر نفسه ، ص 85.

[107]. المصدر نفسه،ص 303

[108] عبد المالك مرتاض، الحفر في تجاعيد الذاكرة ، (مصدر سابق)، ص 115.

[109]. اللوف Arum arisarum هو اللوف الرسة ، و يسمى عندنا (البقوقة) و بالأمازيغية(أبْقُوقْ) رغم أن اللوف من النبتات السامة التي قد تسبب حوادث خطيرة إذا ما أكلت نيئة ، ..إلا أنه قد يجفف و يسحق ليستحضر منه طبيخاً أوخبزاً عند الحاجة.

هي نبتة صغيرة لها جذور عميقة تظهر على سطح الأرض وتخرج في رأسها شكلا يشبه شكل الكلب . وقد حدثنا عنها عبد المالك مرتاض : " وكثيرا ما كنتم تذهبون إلى حقول (**البقوق**) قوافل ، قوافل ، وأنتم تحملون أكياسا لتضعوا فيها ما تَحْتَفِرُونَ. وكان الفلاحون الْعُتاة ربما استعملوا الفأس و المجرفة معاً من أجل تيسير العثور على تلك النبتة غير الكريمة وهم مزهوون فرحون ".[110] وقد تناوله الفقراء في الفترة الاستعمارية في الجزائر وفي المغرب العربي.، أي في فترة المجاعة زمن الحرب العالمية الثانية .

25-التقاط الحلزون :

في فصل الشتاء يخرج **الحلزون** من قوقعته ، وينشط خصوصا في الفترة التي تكون فيها الأمطار تهطل أو بعد أن تتوقف بقليل. وهذه كانت من الثقافات التي ورثها الناس عن أجدادهم التقاط الحلزون وعرفت هذه الظاهرة عند أصحاب القرى ومنها مسيردة والتي نجد عبد المالك مرتاض يحدثنا عنها في قوله : " وكنتم تلتقطون الحلزون من بادية (الفراشخ) مما يلي شاطئ البحر حيث كانت بقية باقية من غابة كثيفة ، وبادية منقطعة ".[111]

26-فتل الضفيرة :

كانت من عادة أهالي القرى والمداشر القيام بفتل الحبال على شكل ضفائر لكي تكون متينة، وتستخدم لحمل الأشياء أو ربطها .

كما يقول : " فكانوا يعمدون في فصل الصيف ، بعد دراس الغلال ، إلى الاستعانة بالضفيرة التي كنتم تفتلونها من الحلفاء الطرية ".[112]

27-الشّوَالَة :

[110] المصدر نفسه ، ص 119.

[111] عبد المالك مرتاض، الحفر في تجاعيد الذاكرة ، (مصدر سابق)، ص 121.

[112] المصدر نفسه، ص 122.

حرفة الشوالةهي العمل بالأَجْرِ في حصْد محاصيل القمح والشعير حين النضج عند أصحاب هذه المحاصيل من الفلاحين ، وعلى الأغلب فإن أصل هذه الكلمة جاء من شهر (شوال) الذي كان افتراضا في شهر الصيف. ورد هثل هذا في قول عبد المالك مرتاض : "ولم تزالا نائمين إلى أن بزغ الفجر على الحقيقة ، وبان. وتقصدتما موقف (**الشوالين**) في (**سوق الأحد**). وكان هنالك موقف للشوالين كبير . كان كل شوال يحتمل منْجلَه ويدرع درعه ".[113]

28ـ الْقُرْدِيَّة :

وهي المكيال الذي كان الناس يكيلون به قديما وتبلغ سعته خمسة كيلو من الشعير . كما يقول : " كان الفلاح ربما اضطر إلى أضافة عطية زهيدة للوالد يتملقه بها كأن تكون شيئا من الزبد أو العسل أو حتى (**قردية**) من الْبُرِّ ".[114]

29–البَرَّاحْ :

تطلق هذه اللفظة في التقاليد الجزائرية التي كانت سائدة آنذاك على الرجل الذي ينادي في السوق على الناس ليجتمعوا في ساحة منها ليستمعوا لمسؤول يخطب فيهم حول أمر هام، أو للإعلان عن مناسبة من المناسبات ..، كما كان يطلق هذا اللقب على الذي يقوم بالمدح في الأعراس.

ونجد هذه اللفظة في قول عبد المالك مرتاض : " والذين كانوا يغشونها (المناسبات) من أهل الحل والعقد مثل القائد، والشيوخ الاثني عشر ، وهم عنها لا يتخلفون. والذين كانوا يتقصدونها من الأعوان أمثال **الْبَرَّاح** ".[115]

30–الْقَايَدْ :

---

[113] المصدر نفسه، ص 131.

[114] المصدر نفسه، ص 166.

[115] عبد المالك مرتاض، الحفر في تجاعيد الذاكرة ، (مصدر سابق)، ص 161.

هو في النظام الإداري الفرنسي يُعَدُّ القايد شخصاً معيَّناًمن قبل السلطات الفرنسية للوساطة بينها وبين المواطنين من أبناء وطنه خدمة لأهداف استعمارية ، وكانت وظيفته هي وظيفة شيخ البلدية ولكن سلطته كانت مطلقة . وكان يضرب الأهالي ويلقبهم بأباخس الألقاب و أحطها.

إذ يقول عبد المالك مرتاض : " ولم تشعر ، بالأمر المقدر ، إلا وصاحبك المنور ، المدلل، ممسك بتلابيب الفلاح الشاب وهو يقول له :-إما أن تمنحني حقي، وهو أجر نصف يوم ضيعته معك، وإما شكوتك إلى **القايد** ".[116]

ويقول أيضاً بعد عودته من قسنطينة : " .. وإذا الشيخ محمد بن العربي الذي كان شيخ عرش **مجيعة** يقبل عليه في ظهر البجاني على بغله الأشهب ويبدأ في استجوابه واستنطاقه بدون حياء. وبعد ها بشهور قامت الثورة بإعدام الشيخ المتعاون مع الفرنسيين وأراحت منه العالمين وقيل أنه دفن بمقبرة منسية و لم يُصَلِّ عليه أحد من المؤمنين"[117].

وبعد مقتل هذا المتعاون مع فرنسا من قبل المجاهدين ، يقول عبد المالك مرتاض : " وقام الجيش الفرنسي بعد ذلك بقليل بتمشيط كل جبال **مسيردة** وأحراشها وأوعارها بحافل من الجنود، بعد أن كانت معركة اشتعلت نهارا قبل أيام بدشرة " **العنابرة**" شارك فيها الزياني وسي المنوّر وطائفة أخرى من كهول الثوار المسلحين " [118].

[116] المصدر نفسه، 134

[117] المصدر نفسه، ص 98

[118] عبد المالك مرتاض، الحفر في تجاعيد الذاكرة ، (مصدر سابق)، ص 98

2 ـ الأسواق .

1–سوق الثلاثاء :

وهو اليوم المخصص للسوق في مسيردة السفلى ، كما هو **سوق الأحد** موجود في مسيردة العليا. إذ يقول عبد المالك مرتاض : " وكان الفتى يبيت في نفسه أنه يباكر به سوق الثلاثاء إذا أصبح الصباح ليبيعه هناك لزبائن بادين ، وربما بسعر أغلى مما كان اشتراه به من سوق الاثنين ".[119]

2 ـ سوق الأحد :

لكل منطقة يوم تخصصه لافتراش السوق ويقوم فيه الباعة بالقدوم من كل أقطار الوطن وعرض سلعهم ويقوم الناس بانتظار ذلك اليوم بفارغ الصبر من أجل الذهاب لشراء ما يلزمهم .

كما يقول عبد المالك مرتاض : " وكانت الأسواق في مسيردة لا تجاوز سوقين اثنتين : سوق الأحد في مسيردة العليا، وسوق الثلاثاء في مسيردة السفلى ...، وكان يوم **الخميس** يوم سوق تجري في مقر سوق الأحد نفسه أيضا ... على حين أن سوق الأحد كانت هي السوق الرسمية الكبرى ".[120]

3 ـ الصبابنة

هي اسم كان الفرنسيون يطلقونه على سوق الأحد، الذي كان موجودا بمسيردة العليا وجرت بها معركة في إحدى البنايات وهي أعظم معركة حدثت هناك .

---

[119] المصدر نفسه، ص 190.

[120] المصدر نفسه،ص 160-161.

فذكرها عبد المالك مرتاض في قوله : " وكان الوالد هاجر بالأسرة بعد أن قصف الفرنسيون دشرةالخماس ومسجدها الجامع ، وبعد معركة **الصبابنة** العجيبة ".[121]

4-التعامل بعملة الدورو:

الدُّورُوهو وحدة نقدية كان يُتَعامَل بها على عهد الاستعمار ببلاد المغرب العربي. والتي ذكرها عبد المالك مرتاض حين قال : " وكم سررت يوم أن أقسم الوالد بالله العظيم، يميناً بارّة غير فاجرة، أنه ليسوقنك إلى الحلاق الأعرج، في سوق الأحد، كلما تكاثف شعرك، ولن يحلقه لك هو بموساه تلك الحافية بعد ذلك اليوم أبدا، حتى لو بلغ سِعْرُالتحليقة الواحدة **أربعة دورو** بالتمام والكمال ".[122]

[121] عبد المالك مرتاض، الحفر في تجاعيد الذاكرة (مصدر سابق) ، ص 103.

[122] المصدر نفسه، ص 14.

3 ـ أماكن التعليم والعبادات.

1–الزوايا والطرق الصوفية :

الزاوية هي عند المتصوفة موضع معد للعبادة والإيواء وإطعام الواردين والقاصدين ، وتعرف بأنها مدرسة دينية يتم فيها حفظ القرآن الكريم. أما **الطرق الصوفية**فهي جميعها تتبنى عقيدة أهل السنة والجماعة وتتبع أحد المذاهب الأربعة والاختلاف بينها هو طريقة التربية والسلوك إلى الله عزوجل وهي الأدوات التي يستعملها الشيخ للوصول للإخلاص والتقوى وليحول الصفات الذميمة للنفس لصفات حميدة.

ووُجدت هذه **الطرق الصوفية** في مسيردة والتي نجدها في قول عبد المالك مرتاض : "وكان الناس في **مسيردة** إما حافظا للقرآن الكريم فقيهاً، وكان عدد الحفاظ فيها قد لا ينيف على المائة إلا قليلا، وإما فلاحا من الأميين محروما، وحينئذ كان لابد له من أن ينتمي إلى طريقة من الطرائق الصوفية التي كانت تتكاثر في مسيردة حتي نَيفت على العشر ، وجوبا، فكان في مسيردة، من بين ما كان فيها، من تلك الطرائق: الدرقاوية، والقادرية، والتيجانية، والعلوية، والميساوية، والعيساوية، والطيبية، والحبيبية ".[123]

2–الطريقة الدرقاوية :

يخبرنا عنها عبد المالك مرتاض بقوله : " وأما أنت فقد كنت بحكم وجود **الطّبْل**([124]) في دار العم لا تزال تتمرس على ضربه على سبيل العبث والتسلي به كلما سنحت لك الفرصة و أنت

[123] عبد المالك مرتاض، الحفر في تجاعيد الذاكرة (مصدر سابق) ، ص 200.

124. يعتبر الطبل من أكثر الآلات الموسيقية الإيقاعية شعبيةً وانتشاراً حول العالم

صبي صغير، دون أن تكون قد فكرت قط في أن الظروف ستجعل منك **مُطَبِّلاً للطريقة الدرقاوية** التي كانت أوسع الطرائق الصوفية انتشارا، وأكثرها أشياعاً في تلك الأرجاء ".[125]

3 ـ المجلل :

هو مصطلح من مصطلحات الطرقيين من أهل التصوف ، وكانت الطريقة (**الدَّرْقَاوِيَّةُ**) سائدة في المنطقة ، والمجلل هو (الْمُسَمِّعُ)الذي يردد عبارة الجلالة (**لا إله إلا الله**).وتتجاوب معه الفرقة بصوت واحد .

إذ قال عبد المالك مرتاض في سيرته : " وكان المقدم عبد المؤمن، الأشقر ، طويل القامة عاتيا، وكان معدودا في عماليق(**مْجِيعَة**)([126])كلها. وكان من العدائين الذين لا يجارون. ومن المجللين الذين لا يبارون" .[127]

4 –إقامة الوعدات في مسيردة :

الوعدة هي من معتقدات أهل الغرب الجزائري وهي تعني أنهم يقومون بشراء شاة، وسكر، وسميد، ثم يجتمعون حول ضريح لهم يعتقدون في دفينه البركة والصلاح ، ويقيمون المآدب والأطعمة لجميع من يحضر هذه المناسبات.

كما يبين لنا عبد المالك مرتاض في قوله :" وكانت الوعدات في مسيردة لا تزال تقام هنا وهناك، حول هذا الضريح أو ذاك، وفي هذا الموسم، أيضا، أو ذاك. وكان الناس، أثناء ذلك، لا يزالون يؤمنون إيمانا راسخا بالمعتقدات، ويرؤن بالخارقات، ويصدقون بإمكان وقوع الأحياء تحت تصرف الأموات ويعتقدون بوصول بركتهم إليهم إذا أقاموا من حول أضرحتهم الذبائح ".[128]

5–الْخَرْبِيش :

---

[125] عبد المالك مرتاض،الحفر في تجاعيد الذاكرة ، (مصدر سابق)،ص 203.

[126]- القرية التي ينتمي إليها الكاتب (عبد المالك مرتاض) ، وهي إحدى قرى (مسيردة الفواقة). وهي بالقرب من قرية (أربوز)

[127]عبد المالك مرتاض، الحفر في تجاعيد الذاكرة (مصدر سابق)، ص 63.

[128]المصدر نفسه ، ص 219.

وهو عبارة عن غرفة منعزلة عن المسجد المخصص للصلاة ، يقوم فيها الفقيه بتحفيظ الأطفال القرآن الكريم ؛ حيث يجلس في صدرها والصغار يحيطون به .مثلما يقول عبد المالك مرتاض : "أيا كان الشأن ، فإنك كنت معجباً، بل ربما كنت شديد الإعجاب، بهذه العبارات التي بدأت تحفظها وتذخرها في ذاكرتك، وأنت عائد من الخربيش ".[129]

أو كماقال :

"وكانذلكالخربيشمُسوَدّاالجدران،ناتئالأحجار،متطايرالتراب؛وكانمتكاثفالغبار،غيرمملطالسقف،غيرمس
تويالأرضيةالتيكانتتشبهالحقلالمخدود؛بحيثكانالحصيريستقيمطورا،ويغوصفيحفرأرضيةالخربيشأطواراً
أخرى ..
بيدأنكمكنتمترونذلكالحصيروثيرا،فيغيابماكانيمكنأنتقعدواعليهفيالبيتأوخارجه،حتىكأنهكانمنسوجامنال
صوف الأذربي" ([130])

6-الْمَحَّضْرِي :

وهي لفظة تطلق على الشخص (التلميذ) الذي يذهب إلى الجامع ليتعلم القراءة والكتابة ويحفظ ما تيسر من القرآن.

والتي ذكرها لنا عبد المالك مرتاض في قوله : " وكان كل يقرأ لوحه المكتوب ويكرر ما كتب فيه حتى يحفظه عن ظهر جنان. فكان (محضْرِي) موكولا بحفظ سورة الضحى ".[131]

7-الصلصال :

هو مادة كلسية لزجة بيضاء، يطلون بها اللوح بعد غسله من الكتابة ، وهذه الطريقة كان يستخدمها الأطفال الذين يحفظون القرآن بالمساجد أو بالزوايا .

---

[129] المصدر نفسه ، ص 53.

[130] عبد المالك مرتاض، الحفر في تجاعيد الذاكرة ، (مصدر سابق)،ص87

[131] المصدر نفسه ، ص 54.

كقوله : " وتعمد إلى الإمساك بلوحك الصغير المصقول بمادة الصلصال البيضاء... فقد كتب لك الفقيه العجوز، سي عبد القادر بوطالب الأكبر، سطوراً ببصره الضعيف الذي لم يكن بقي منه إلا بصيص ضئيل ".[132]

8-السُماق :

هو نبات تستعمل أوراقه للدبغ، فكان عبارة عن مادة **الْحِبْر** التي يكتبون بها على اللوح الخشبي في الكتاتيب و الجوامع. مثل قوله عن كتابة الفقيه : " كتب لك في لوحك حروف الأبجدية العربية **بحبر السماق** : أ، ب، ت...".[133]

9-الْحرُوز :

وهي رقية شرعية تكتب على ورقة ، فيحملها المريض وتعلق له كـ (**تَميمَةٍ**)، أو تنقع في الماء ويشرب المريض هذا الماء ، أملاً في الشفاء ، وقد ذكرها عبد المالك مرتاض في قوله : " ولم يمرض الغلام إلا زمنا قصيرا. وكان الوالد يكتب له **الحروز** تلو الحروز ، ثم ينقعونها له في الماء ".[134]

10-الْيَقْشَة :

اليقشة :مصطلح يطلقه كتبة (الْحُرُوزْ)من الفقهاء على حرفتهم في قوله : " وكان على الوالد أن يقتصد و يتدبر، ما يتدبر، من الفرنكات التي كانت تأتيه من غير مصدر، فكان عليه أن يجهد أصابعه **بكتابة الحروز**، وأن يجود في امتهان **اليقْشَةِ** المهيمنة ".[135]

11-الرُّقْيَة :

---

[132] المصدر نفسه، ص 51.

[133] المصدر نفسه، ص 52.

[134] عبد المالك مرتاض، الحفر في تجاعيد الذاكرة ، (مصدر سابق)، ص 59.

[135] المصدر نفسه ، ص 195.

وهي الرقية الشرعية، والتي تتم عن طريق تلاوة القرآن على المريض قصد الشفاء.مثلما هي موضحة في قوله :" وأما أبوكم فقد كان لا يزال منهمكاً في رقي أمكم العزيزة ، بالرقية تلو الرقية ..."[136]

12-**المشَارطَة** :

هي عادة من عادات الأهالي القديمة، وهي اتفاق بين طرفي العقد؛ أي بين الفقيه وأعضاء القرية حول عمل الفقيه والمقابل المادي الذي تقدمه القرية مقابل عمل الفقيه، ومن بين بنود (المشارطة) إطعام الشيخ أو الفقيه في تلك القرية. كما قال عبد المالك مرتاض : " وكانت العادة في أعراف المشارطة أن الجماعة هي التي تتولى إطعام الفقيه بصور مختلفة من الإطعام ".[137]

13 ـ **الحَلْقَة** :

وهي تجمع دائري يقوم فيه المتكلم بالوقوف في الوسط ويبدأ بتقديم ما عنده للناس الذين يكونون مجتمعين على شكل دائري، يستمعون له، وهي غالباً ما تكون في المساجد أو في الكتايب ، وقد تكون أيضاً في الأسواق.

كما في قوله : " وبدأت تتردد على إحدى **حلقات الدراسة في القرويين** ، وكان كل أستاذ يتحلق من حوله خلق من الطلاب ".[138]

14-**خرافة العفريت** :

هي خرافة عُرفت قديما عندهم ، إذ يقول عبد المالك مرتاض : " وكان الطلبة على ما كان في عقولهم من بعض التنوير بالقياس إلى عامة الأميين، إلا أنهم مع ذلك كانوا يصدقون كثيرا من الخرافات ولا يرتابون ...، وأن طالبا شابا منهم كلفه الشيوخ ذات يوم بسوق جَدْي من عند

---

[136] المصدر نفسه ، ص 42.

[137] المصدر نفسه، ص 69.

[138] اعبد المالك مرتاض، الحفر في تجاعيد الذاكرة ، (مصدر سابق)،.ص 102.

أحد الفلاحين كان وهبه إياهم، فذهب الطالب الشاب إليه ليوافيهم به ليلتهموه. وحمل الطالب الجدي على كاهله. ثم عاد أدراجه نحوهم وهو لا يلوي على شيء. فكانت قوائم الجدي مرسلة على صدره تتدلدل، والجدي لا يزال يصيح. ولكن الطالب لاحظ، فجأة، أن وزن الجدي أنشأ يتثاقل من فوقه. فنظر إلى أعلى فما هاله إلا شخص بشع الوجه يقوم على كتفيه. فشرع ذلك الشخص الغريب الخلق يسخر من الطالب ويستهزئ به، وأنه قد استطاع أن يعبث بذكائه فتمثل له أول الأمر جديًا فتيا ، وها هو الآن يتمثل له عفريتا من الجن على حقيقته، سويا فلم يكن من الطالب الشاب الجَلد إلا أن أمسك إمساكا محكما بكلتا رجْلي الكائن المحمول على كتفيه وهو يقول :

-ألست تعرف أنني مجرد عبد مأمور فإنما كُلفت بجلب الجدي للطلبة فلا يجوز لي أن أعود لهم إلا به وهم ينتظرون. وماذا عسى أن أقول لهم إن عدت إليهم دونك وأنا خائب مخذول ؟... ولذلك فسواء علي أكنت جديا كما عهدتك فحملتك أولا، ولا أراك إلاهُ، أم كنت عفريتا من الجن كما تمثلت لي الآن جديا ممسوخا، فإنك والله في الحالين ، لمن المذبوحين ...

فزعموا أن العفريت كان لايزال يستغيث ويبكي ويستنجد مخافة أن يذبحه الطلبة، بعد أن يقرءوا عليه سورة الجن... ووعد الطالب مقسما بالله العظيم إنه إن خلى سبيله ليجدن خروفا سمينا مربوطا أمام باب النادي حين يصل إليه، وهو من الصادقين... فخلى الطالب سبيل العفريت الذي وفى بعهده ولم يكن من الخائنين ... وكان الطلبة يرددون هذه الخرافة فكانوا يعتقدون أنها واقعة حقيقية وكانوا لها جميعا من المصدقين... ".[139]

[139] عبد المالك مرتاض ، الحفر في تجاعيد الذاكرة ،(مصدر سابق) ص 172-173.

4 ـ الاستعمار

إنالاستعمار الفرنسي طوال الحقبة التي قضاها في ديارنا عمل على" تشويه التاريخ وفصل المجتمع الجزائري عن دينه وهويته وثقافته عن طريق الإدماج المزيف والمسخ والتذويب." [140] وكانت حقبة زمنية مؤلمة وواقعا معيشيا مزرياً.

وقد عايش عبد المالك مرتاض وجود الاستعمار في الجزائر فذكر ذلك في سيرته " الحفر في تجاعيد الذاكرة ". وحكي كل تلك المعاناة و الشقاء...، فوصف مثلاً " قصْفَ الفرنسيين لقرية (**الخماس)** زمن ثورة التحرير، فشّرق من شّرق وغرّب من غُرب ، إثر معركة (**صبابنة**) المثيرة الّتي تعدّ أكبر معركة زمن الثورة في مسيردة، فهدموا دورها ومسجدها الجامع بمدافعهم الثقيلة، فهاجر كل أهل الخماس، وتا شعبان، وبوخلفون، وظهر البجاني، وبرديل، ولم يعد الذين هاجروا منها إليها قط فأقفر كثير من تلك الديار من أهلها وأمست أثرا بعد عين إلى اليوم" [141].

ويذكر الكاتب كذلك . أثناء مشارطة أبيه في بدايات ثورة التحرير " قصْفَ الفرنسيينبمدافعهم المسجد الجامع بالخماس بملحقاته من **خرابيش وأضرحة،** انطلاقا من هضبة بئر **ربّوز،** فدكّوه دكّا شديدا،/و هم لا يشفقون، فهاجر الناس إلى المغرب أفرادا و ثُبات التماسا للنجاة من قهر الاحتلال واضطهاد وهم مروّعون [142].

---

[140]–محمد العربي الزبيري،المقاومة في الجزائر بين 1830_1848، مجلة الأصالة، عدد29 جانفي1976

[141]– عبد المالك مرتاض ، الحفر في تجاعيد الذاكرة (مصدر سابق)، ص 34

[142]- عبد المالك مرتاض، الحفر في تجاعيد الذاكرة (مصدر سابق) ، ص 67

وقد كان الاستعمار الفرنسي يستعين ببعض العملاء الذين عينهم لخدمته ولإذلال المواطنين وللجوسسة على حركات المجاهدين والمتعاونين مع الثوار ، مثل القايد أو الحركي ، إذ يقول الكاتب ، مثلاً : النظام الإداري الفرنسي يعين القايد ، وهو شخص معيَّن من قبل السلطات الفرنسية للوساطة بينها وبين المواطنين من أبناء وطنه خدمة لأهداف استعمارية ، وكانت وظيفته هي وظيفة شيخ البلدية ولكن سلطته كانت مطلقة . وكان يضرب الأهالي ويلقبهم بأباخس الألقاب وأحطها.

إذ يقول عبد المالك مرتاض : " .. وإذا الشيخ محمد بن العربي الذي كان شيخ عرش **مجيعة** يقبل عليه في ظهر البجاني على بغله الأشهب ويبدأ في استجوابه واستنطاقه بدون حياء. وبعد ها بشهور قامت الثورة بإعدام الشيخ المتعاون مع الفرنسيين وأراحت منه العالمين وقيل أنه دفن بمقبرة منسية و لم يُصَلِّ عليه أحد من المؤمنين"[143].

وبعد مقتل هذا المتعاون مع فرنسا من قبل المجاهدين ، يقول عبد المالك مرتاض : " وقام الجيش الفرنسي بعد ذلك بقليل بتمشيط كل جبال **مسيردة** وأحراشها وأوعارها بحافل من الجنود، بعد أن كانت معركة اشتعلت نهارا قبل أيام بدشرة " **العنابرة**" شارك فيها الزياني وسي المنوّر وطائفة أخرى من كهول الثوار المسلحين " [144].

[143]- المصدر نفسه،ص 98

[144]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

5 ــلغة البيئة في السيرة

لقد كانت اللغة التي استخدمها عبد المالك مرتاض في سيرته " الحفر في تجاعيد الذاكرة " ، عبارة عن مزيج بين العامية التي كانت قريبة لحد كبير من اللغة العربية الفصحى . والتي نجدها في عدة أقوال كقوله في بعض المصطلحات التعليمية : " تعلمتها ممن كانوا قبلك من الحافظين :-ألف ما ينقُّط شَيْ ... والبا واحدة من تحت .والتا زوج من فوق..."[145]

وأيضا : قوله : "فكانت تخرج بعد فتح الباب، ثم تصدمكما بعبارة مسكوكة حفظتماها منها إلى أبد الآبدين : - عْمَلْنَا لَعْشَا ، وتْعَشِّينا " [146]

فهنا نحن نلاحظ وجود عبارات باللغة العامية ، قد استخدمها عبد المالك مرتاض ليبين لنا طبيعة العيش آنذاك .

وفي قول آخر نراه يتكلم باللغة العربية الفصحى كقوله : " وكان ذلك السوط العجيب لا يعجزه أن يمتد إلى ضرب طائفة من الأولاد في **الخربيش** جملة واحدة وهو يقول : هل من مزيد ؟ وهل من ظهر حافظ آخر قريب أو بعيد ؟..."

وها نحن نراه يعود أيضا إلى اللغة العامية بقوله :" فكان لا يزال يردد ويقول :اسكت يا ابنَ الْ...، وإلا قمت عْجَنْت والدك .[147]

---

[145] عبد المالك مرتاض، الحفر في تجاعيد الذاكرة ،(مصدر سابق)، ص 52.

[146] المصدر نفسه ، ص 70.

[147] المصدر نفسه ، ص 78.

وقال أيضا : " وكان هجيرَاهُ في نص الدعاء هو :الله يقطع رقبتك ، يا حيوان ...."[148]

وأيضا : " وإنكما لتَهُمان بالهجوم وإذا الصبية الجميلة التي كانت تبدو عليها آثار النعمة والنعمة تدعوكما وهي تقول : – أيْوَاارْواحُوا انتما ".[149]

وقوله أيضا :" فكانت زليخا الحسناء تبكي بصوت عال وهي تذرف دموعا غزارا ولا من يرحم ضعفها وقلة حيلتها أمام ذلك الجلاد القاسي ،فينقذها من مخالبه الشريرة ، بل لم يكن أمامها غير التجلد لتباريح الضرب وهي تنتحب تشتكي: – أيش عملت يارب حتى يضربني هذا الرجل ...؟"[150]

ونجد أيضا بعض ألفاظ عامية أمازيغية كقوله :" فكان لا يزال يحتج عليك في لهجة عامية فيها لكنة أمازيغية لطيفة : – ليه آسيدي ، أنا اجْنَيَنْ نْتيرْ عليها ؟.[151]

وأيضا :" وهو يقول في امتعاض شديد، وحزن عميق :هالدَرْبَه ،يا بَعْدَا، انتاعْ لَتَايْ اللي ما كانْشْ[152]"

وقوله: "مما ازدجاكم إلى ارتجال بعض المواويل والأغاني الفلكلورية التي كانت شائعة في تلك الأرجاء، بأصوات جهورية بدوية كانت تسمع من أقاصي المسافات، مثل :

– شْعَرْها طْويلْ، طْويلْ قمْحْ بْني وْكيلْ ...

–آ فاطـمَ يا نوَار البَنَانْ اللي يْسَاوْمَكْ يْزيدْ في الثمَنْ..."[153]

---

[148]المصدر نفسه،ص 92.

[149]المصدر نفسه ، ص 94.

[150]عبد المالك مرتاض، الحفر في تجاعيد الذاكرة (مصدر سابق) ، ص 117.

[151]المصدر نفسه، ص 129.

[152]المصدر نفسه ، ص 136.

[153]المصدر نفسه، ص 137.

يعود مرة أخرى إلى اللغة العربية الفصحى بقوله :" وأما الوالد فقد دندن وهلل ، ورتل من القرآن ما رتل وسمع وطبل :

أمُر على الديار ديار ليلى أقَبلُ ذا الجدارَ، وذا الجدارَا

وما حُبُ الديار شَغَفْنَ قلْبي ولكنْ حُبُ مَنْ سَكَنَ الديَارَا "[154]

ولا يلبث كثيرا حتى يعود إلى اللغة العامية ، لقوله : " فكان لا يزال يقول حين يدفعه العمال الظرفاء إلى الحديث عن ذلك :

– إيه نعم أبَا ، حتى هو يأخذ حقه معنا من الأرض ..."[155]

و قوله أيضا : " بل كان يقول للزبون وهو يبتسم في أريحية وسرور :

–حاضر! ما يكون إلا خاطرك ، آسيدي !"[156]

ونجده أيضا في قوله : ولكن السيدة كانت من الذكاء، أو من الهم على الأقل ، ما كان يجعلها تقول لك ملاحظة:

–ها هو ، آ ولد خاي، موطع هْنا فارغ ...!"[157]

ويقول أيضا باللغة العربية الفصحى : " فكان لايزال يرفع يديه إلى السماء، وهو يردد دعوات [اللطيف] ، ومن ذلك ما كان يقول :

–اللهم يا لطيف الطف بنا فيما جرت به المقادير ! "[158]

كما يقول : " فقدمه القائد مخاطبا أهل السوق [بعد أن كان المنادي نادى بما معناه :

---

[154] المصدر نفسه ، ص 137.

[155] عبد المالك مرتاض، الحفر في تجاعيد الذاكرة ، (مصدر سابق)، ص 148.

[156] المصدر نفسه، ص 162.

[157] المصدر نفسه، ص 167.

[158] المصدر نفسه، ص 175.

-إن الحاكم سيخطب فيكم فلا تتخلفوا. ومن تخلف منكم فلا يلومن إلا نفسه، ولا عدوان إلا على الظالمين ...].

-اسمَعوا يا لَكْلاب! سيدي الحاكم يخطب عليكم !..." [159]

ونظرا لهذا فإن في هذا القول وحدة يوجد مزيج من اللغة العربية والفصحى واللغة العامية .

وفي قوله : " فرق لصاحب المطعم فرعون وقال له في شيء من الإشفاق :

-حافظْ على بابَشْ! وأما عمَش فرعون مايتضرر من ضرْبَش "[160]!

ففي هذه العبارة يصور لنا عبد المالك مرتاض اللهجة الحقيقية لأهل مسيردة فهم يتميزون بنطق حرف الكاف بحرف الشين.

إن الكاتب عبد المالك مرتاض قد عرض الأحداث والمناسبات والعادات والتقاليد بلغة البيئة ، وبالمصطلحات الخاصة التي نمت في تلك المنطقة ، والتي صارت تعبر بصدق وبإدراك وبانتماء عن حركات شخصياتها وعن ألوان أماكنها ، وعن طبائع الناس ، وعن الأحداث ، وحتى عن عبث الحياة ، مثل : " التحليق ويوم الختان والصيد في الغابة والدراسة في «الخربيش» (الكتاتيب) السماق، المحضري، اليقشة، وحفر البقوق والتقاط الحلزون واحتطاب الحطب والشوالة والكدح في فرنسا والأسواق وحلقات الذكر والوعدات...إلخ. " ([161])

كان يقول كل لحظة باللهجة الجزائرية التي تليق بها ، ويعبر عن كل محطة وعن نوادرها بلغة مناسبة للحظة وقوع الحدث ، هذه اللغة وهذه اللهجات التي كان يسيطر عليها الكاتب جيدا

---

[159] المصدر نفسه ، ص 176.

[160] عبد المالك مرتاض، الحفر في تجاعيد الذاكرة ، (مصدر سابق) ، ص 192.

[161] . عبد السلام يخلف . السيرة العارية في كتاب "الحفر في تجاعيد الذاكرة" لعبد المالك مرتاض ـ نشر بتاريخ:1/أكتوبر 2017جريدة (النصر) قسنطينة . الجزائر.

وله ذاكرة رهيبة تحتفظ بكل شيء من الكلام والحركات والأحاسيس التي كانت متقدة لحظة وقوع الأحداث، قد أسس بها لقاموس راح يستعمله بدون تردد ، " وكلها مصطلحات أخذت معناها من البيئة التي ولدت فيها وما تزال حية ترزق لو وقفنا دون اندثارها بالتدوين والحفظ.." ([162])

إن الكاتب لَوَّنَ الأحداث بقاموس اللهجة الجزائرية ، تلك اللهجة التي تعد حصناً شامخاً ومعبراً عن انتماء بيئته إلى الأصول الأمازيغية العربية الإسلامية ، التي خَيَّبَتْ محاولات المستعمر في طمس هوية هذا الوطن ، وأرغمته على الرحيل .

[162]. عبد السلام يخلف . السيرة العارية في كتاب "الحفر في تجاعيد الذاكرة" لعبد المالك مرتاض ـ نشر بتاريخ:1/أكتوبر 2017جريدة (النصر) قسنطينة ـ الجزائر. (المرجع نفسه).

خاتمة :

خاتمة :

في الختام نسجل أهم **نتائج البحث** :

-نشأ عبد المالك مرتاض في(**مسيردة**) وترعرع فيها، وحفظ القرآن الكريم في كُتاب والده.

-التحق بمعهد الإمام عبد الحميد بن باديس بقسنطينة ، وتتلمذ فيه طيلة خمسة أشهر وحين أغلق المعهد عاد إلى البيت .

-حصل على شهادة الدكتوراه سنة 1970 من كلية الآداب بجامعة الجزائر عن بحث بعنوان " فن المقامات في الأدب العربي ".

-نهض بتدريس جملة من المقاييس في معهد اللغة وآدابها بجامعة وهران منها : الأدب الجاهلي ، الأدب العباسي، الأدب المقارن، الأدب الشعبي و الأدب الجزائري ....

-تقلد عبد المالك مرتاض العديد من المناصب العلمية والثقافية إضافة إلى أنه شارك في عشرات الملتقيات الأدبية والمهرجانات الثقافية الوطنية والدولية.

-تميز عبد المالك مرتاض بغزارة الكمية المعرفية والروح الموسوعية نظرا لما خلفه من زخم نثري متنوع في شتى الأقاليم الثقافية " رواية، قصة، شعر، نقد ...".

- السيرة الذاتية تشبه إلى حد كبير الرواية في طريقة العرض و البناء إلا أن شخصيات السيرة حقيقية لا تخلق من خيال .

- للسيرة أبعاد فنية تميزها عن باقي الأجناس الأدبية ، تتفاوت من كاتب لآخر ، ترتبط بالمحتوى العام للمضمون، لكل عنصر مهمة و وظيفة تخدم مادة العمل.

- اللغة مكوّن رئيسي في أي عمل إبداعي ، و اللغة في السيرة أول ليس مجرد أنساق وظيفتها التبليغ و لكنّها وعاء يحوي مكونات عقلية ووجدانية و معتقداتية و خصوصيات الواقع الذي تنقل.

– الزمن بالسيرة هو علامة فارقة أو بالأحرى حياة.

– المكان هو جوهر المكونات الفنية للسيرة ، و يعتبر من ملامح القويةالبارزة للأدب العالمي.

ظهر عبد المالك مرتاض بمولود جديد استجمع فيه حياته في لوحات جمعت بين لطافة العبارة وجمالية اللغة في ما يسمى ب " **الحفر في تجاعيد الذاكرة** " سنة 2003.

–عالج عبد المالك مرتاض في سيرته العديد من القضايا التي تروي طبيعة العيش والأحداث التي عايشها في زمانها.

–من ضمن هذه القضايا لقد طرح عبد المالك مرتاض **العادات والتقاليد** التي تشكل حصيلة تجارب في حياة الناس بالبيئة التي عاش فيها الكاتب.

–إضافة لذلك أهم أماكن التعليم والعبادات والطرائق المعروفة عندهم.

- **المعتقدات**تمثل في بعض السلوكات مظاهر الشرك،نتيجةالتقهقرالعلميوالثقافي الذي فرضه الاستعمار،فعَمَّ الجهل.

يتعدد**المكان والزمان** فيسيرة عبد المالك مرتاض؛فمنهمايمثلاالجمال،ومنهمايمثلالبؤس.

ويشكلان المستوىالحضاريالمتدنيبسذاجةأهله،فيثقافتهمواعتقادهم،وعاداتهموطبائعهم.

– لم يغفل عبد المالك مرتاض عن القضية البارزة وذات الأهمية الكبيرة والتي تتمثل **في الاستعمار** الذي عمل على تشويه التاريخ و فَصل المجتمع الجزائري عن دينه وهويته وثقافته.

–عمل الكاتب أيضا على ابراز **لغة البيئة** التي استخدمها في سيرته والتي هي عبارة عن مزيج بين اللغة العامية واللغة العربية الفصحى، وبعض الألفاظ الأمازيغية .

هذا هو **عبد المالك مرتاض** الذي يروي هذه الحكايات ؛ كان فقيرا يجوع تحت نير الاستعمار لكنه استطاع أن يعبر الشعاب والصعاب وينتقل من الخربيش إلى جامعة السوربون. هو اليوم أشهر من نار على علم، صار أستاذا جامعيا ألف العشرات من الكتب في الأدب واللغة وجلس على منصة حصة «أمير الشعراء» كي يزكي المتسابقين المبدعين .

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

مصادر البحث ومراجعه :

أ-الكتب العربية :

1-الأجناس الأدبية النثرية والشعرية، محفوظ كحوال، دار نوميديا للنشر والتوزيع، (د،ط)، 2007م.

2-أدب السيرة الذاتية، شرف عبد العزيز، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، مصر، 1992.

3-أضواء على الاستعمار الفرنسي للجزائر، مسعود مجاهد الجزائري، دار المعارف، القاهرة، مصر.

4-الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، يحي إبراهيم عبد الدايم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د،ط)، 1975 .

5-الترجمة الشخصية، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط3 (د،ت).

6-الحفر في تجاعيد الذاكرة، عبد المالك مرتاض، اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، ط1.

7-حياتي، علي مبارك، مكتبة الآداب، ط 1.

8-الخبز الحافي، محمد شكري، دار الساقي، بيروت،ط4، 1996.

9-الخطاب النقدي عند عبد المالك مرتاض ، يوسف وغليسي، صدر عن رابطة الإبداع الثقافية، الجزائر، (د.ط)، 2002.

10-رحلة جبلية رحلة صعبة، فدوى طوقان، ط4، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 1999.

11-الساق على الساق فيما هو الفرياق، أحمد فارس الشدياق، مكتبة العرب بمصر، القاهرة 1919.

12-السيرة الذاتية الشعرية، قراءة في التجربة السيرية لشعراء الحداثة العربية، محمد صابر عبيد، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2008.

13-السيرة الذاتية النسائية في الأدب العربي المعاصر، التميمي أمل، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت-لبنان، 2005.

14-السيرة الذاتية في الأدب العربي، تهاني عبد الفتاح، دار فارس للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2002.

15-السيرة الذاتية في الأردن الذات والاطار الجماعي، عثامنة فايز ، الفصل الثالث، السيرة الذاتية والتشكيل الفني، 2007.

16-سيمياء العنوان، قطوس موسى بسام، ط1، مكتبة الإسكندرية، اربد عمان، الأردن، 2001

17-عتبات جيرالد جينيت من النص إلى المناص، عبد الحق بلعابد،ط1 ،منشورات الاختلاف الجزائر/الدار العربية للعلوم، ناشرون بيروت، لبنان، 2008.

18-عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن ابي اصبيعة، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965.

19-فن السيرة بين الذاتية والغيرية في ضوء النقد الحديث، عبد اللطيف الحديدي، دار السعادة للطباعة، القاهرة، ط1، 1996.

20-فنون الأدب العالمي، نبيل راغب، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1996.

21-في الأدب الجزائري الحديث، عمر بن قينة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر1995.

22-كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، علي محمد الصلابي، دار المعرفة، بيروت لبنان.

23-مقومات السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، جليلة الطريطد، (د.ط)، مؤسسة النشر الجامعي ، تونس .

24-المنقذ من الضلال، أبو حامد الغزالي، مكتب النشر، دمشق، (د.ت)، (د.ط).

25-النقد الأدبي، حداد عبد الوارث، مطبعة رحاب، المنصورة 1988.

26-النقد الجزائري المعاصر في اللانسونية إلى الألسنية، يوسف وغليسي، رابطة إبداع الثقافية، 2002.

ب -كتب مترجمة :

27-جدلية الزمن ت: خليل أحمد خليل، غاستون باشلار، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط3، بيروت لبنان، 1992.

28-الرواية والواقع ت: رجيد بنحدو، جولد مان لوسيان و آخرون،ط1، الدار البيضاء، دار قرطبة 1988.

29-السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي، فيليب لوجون، ترجمة عمر حلي، دار النهضة، بيروت،ط1، 1994.

30-السيرة الذاتية وإشكالاتها، جانجي موريس، شؤون أدبية، ع 6، 1988.

31-المصطلح السردي، برنس جيرالد، تر : عابد خنزندار، ط1 ، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة مصر، 2003.

الدوريات :

أ-المعاجم :

32-جامع البيان في تأويل القرآن، محمد جرير الطبري، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، ج 16، 2008.

33-قاموس المحيط، فيروز الأبادي،ط2، مادة (سير)، مؤسسة الرسالة، بيروت1987.

34-لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط4، 2005م، المجلد 7.

35-معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002، كامل سليمان الجبوري، مج 4، الكتب العلمية، (بيروت، لبنان)، ط1، 1424هـ/2003م.

36-المعجم العربي الأساسي، المنظمة العربية للتربية والثقافة، (د.ط)، (د.ت).

37-معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4، 2004.

38-معجم مصطلحات نقد الرواية، لطيف زيتوني، مكتبة لبنان ناشرون، دار النهار للنشر ط1، 2002م.

ب -المجلات والمقالات :

39-تيمات السرد في سيرة عبد المالك مرتاض، الحاج جغدم مجلة "دراسات لسانية" العدد 08،م2، جمادى الثانية 1439هـ/مارس 2018.

40-جريدة الشهاب، الجزء الثاني المجلد السادس، الفاتح شوال 1348هـ/مارس 1930.

41-السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، محمد الباردي، مجلة فضول، المجلد السادس عشر، العدد الثالث، شتاء 1997.

42-عمار بلحسن في حوار مع مجلة " مواقف" في عدد 52/51 لشهر يوليو من سنة 1984.

43-في الأدب الجزائري الحديث، عمر بن قينة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1995.

44-المذكرات والسير الذاتية الفلسطينية، خيرية قاسمية، الموسوعة الفلسطينية قسم الدراسات، المج الثالث، بيروت،ط1، 1990.

45-مقال بعنوان(مولود فرعون .." ابن الفقير" الذي خلد القرية الجزائرية القديمة)، علياء طلعت، عالم الإبداع.

46-مقال بعنوان(مولود فرعون: ابن الفقير في دروبه الصاعدة)، بوداود عمير، " العربي الجديد"، 09 أبريل 2017، موقع وصحيفة عربية دولية، يصدر عن شركة فضاءات ميديا ليمتد، العاصمة البريطانية، لندن.

47-مقال بعنوان: السيرة العارية في كتاب الحفر في تجاعيد الذاكرة لعبد المالك مرتاض، عبد السلام يخلف، جامعة قسنطينة، نشر بتاريخ: 02 تشرين 1 أكتوبر 2017 بجريدة النصر الجزائرية.

48-مقال بعنوان: الكتابة والعنف(شكري-الخبز الحافي) نموذجا، حسن المودن (ناقد من المغرب)،مجلة نزوى ع56 أكتوبر2008.

49-المقاومة في الجزائر بين 1830-1848، مجلة الأصالة، عدد 29 جانفي 1976.

50-المقاومة في الجزائر بين 1830-1848، محمد العربي النربيري، مجلة الأصالة عدد 29 جانفي 1976.

ج -مواقع الكترونية :

51-بوابة الشعراء info@poetsgate.com .

52-مقال بجريدة (معرفة) بعنوان : الخطط التوفيقية لإبراهيم العريس

www.marefa.org

53-ويكيبيديا Wikipédia

فهرس الموضوعات :

مقدمة..... أ – د

مدخل : الأديب الناقد عبد المالك مرتاض حياته وأدبه..... 1 – 8

أ–حياته..... 2

ب–نشاطاته المهنية والإدارية والعلمية 4

ج–مؤلفاته..... 5

د–أعماله الإبداعية 7

الفصل الأول : ماهية السيرة الذاتية ..... 9 – 29

أولا : مفهوم السيرة 10

أ–لغة.....10

ب–اصطلاحا.....11

ثانيا : أنواع السيرة..... 12

أ–السيرة الغيرية 12

ب–السيرة الذاتية 12

المكونات الفنية للسير الذاتية للأدباء.....13

ثالثا : تطور السيرة الذاتية 15

أ–في الأدب العربي..... 15

ب–السيرة في الأدب الحديث 17

ج–كتابة السيرة في الأدب الجزائري..... 25

الفصل الثاني : البعد الاجتماعي في سيرة الحفر في تجاعيد الذاكرة ..... 30 - 58

أولا : العادات والتقاليد 32

1-غزل الصوف 32

2-الشاشية 33

3-الصبانة 33

4-الحمام 34

5-الوعدة 34

6-الختان..... 34

7-الخياطة..... 34

8-طحن الشعير باستعمال المطحنة اليدوية 35

9-قطف التين وتجفيفه 35

10-حرث الحقول 36

11-وعدة أربوز 36

12-الفلي من القمل والصيب 36

13-الاحتطاب من الغابة 37

14-رعي الأغنام 37

15-التجوال في الغابات 38

16-تربية الدواجن 38

17-القنديل 38

18-الصيد في الغابة 39
19-تسلق الجبال 39
20-العيون والآبار..... 39
21-الحلفاء 40
22-ركوب الحمير..... 40
23-المطامير..... 41
24-البقوق..... 41
25-التقاط الحلزون..... 41
26-فتل الضفيرة..... 42
27-الشوالة 42
28-القردية 42
29-البراح 43
30-القايد..... 43
ثانياً الأسواق 44
1-سوق الثلاثاء..... 44
2-سوق الأحد..... 44
31-الصبابنة 45
32-التعامل بعملة الدورو..... 45
ثالثاً: أماكن التعليم والعبادات 45

1-الزوايا والطرق الصوفية 45

2-الطريقة الدرقاوية..... 46

3-المجلل 46

4 -إقامة الوعدات في مسيردة 47

5-الخربيش 47

6-المحضري 48

7-الصلصال 48

8-السماق 48

9-الحروز..... 49

10-اليقشة 49

11-الرقية 49

12-المشارطة 49

13-الحلقة..... 50

14-خرافة العفريت 50

رابعاً: الاستعمار 52

خامساً: لغة البيئة 54

خاتمة 59– 60

قائمة المصادر والمراجع ..... 61 - 65

الملخص:

في هاته المذكرة الموسومةبـ" **الأبعاد الاجتماعية في سيرة:" الحفر في تجاعيد الذاكرة " لعبد المالك مرتاض"**، عملنا على إبراز ملامح الحياة الاجتماعية التي تعددتموضوعاتهاوتلونتبألوان زمنطفولة الكاتب أياماالحلوالترحال، وأياماالدراسةوالتفوق العلمي..، والتي توزعتها الأمكنة منذ بداياتهاالأولىفي طلب العلموالعملوالحياة؛من(مْسِيرْدَة)إلى(أَحْفِيرْ) إلى قسنطينةإلىفاسإلىالرباط إلىباريس.. ، إلىمراحلالعطاءالنقديوالإبداعيفيأقاليم ثقافية متنوعة .

فلقد جلس الكاتب **عبد المالك مرتاض**إلى ذاكرته وشرع يحفر في تجاعيدها باحثاً عن جواهر نفسه ، ومسجلاً حوادثها وأخبارها ومحطاتها العامرة بالفرح أحياناً وبالألم والحزن أحايين أخرى . فنسج عالماً عجيباً بخيوط الحروف ، انتقى ألوانها من مصطلحات البيئة التي ولدت فيها والتي ماتزال حية ترزق ، فأخرج بها صورة فسيفسائية تحملوسماً لسيرة ذاتية ، تعد تحفة نادرة لقصص ونوادر تعظم وتضؤل تبعاً لأهميتها.

" وتلكم صور شعريّة في شكلها، حزينة في مضمونها من أيّام صبايَ دبّجتُها صادقاً..."(عبد المالك مرتاض).

الكلمات المفتاحية: عبد المالك مرتاض، السيرة الذاتية، مسيردة ، الأبعاد الاجتماعية.

Summary

Throughout this thesis which is entitled: "*Social Dimensions in the Biography: "Drilling in the Wrinkles of Memory*" by Abdul Malik Murtad, we intended to highlight the features of social life, whose topics were diverse and coloured by the writer's childhood days which symbolized dissolution and travel besides days of studies and scientific excellency that went through different places since his early beginnings in seeking knowledge, work and life; From (Msirda) to (Ahfir) to Constantine to Fez to Rabat to Paris to the stages of both critical and creative granting in many cultural regions.

The writer Abd al-Malik Murtad sat in his memory and proceeded to dig deeper in its wrinkles, searching for the real jewels of him, and recording its events, news and even stations layered with joy from one side and pain and sadness from another. He wove a strange world with the threads of letters, he picked up its colours from the concepts of the environment from where she was born and still lives in , so he drew a mosaic picture mirroring the tag of a biography, which is considered to be a rare masterpiece of stories and anecdotes that magnify and diminish according to their importance.

"*And these are poetic illustrations in their form, sad in their content, from the days of my youth, which I embroidered sincerely...*"(Abdul Malik Murtad)

Keywords:

Abdul Malik Murtad, biography, Msirda, social dimensions.

Résumé

Dans cette thèse intitulée : "*Dimensions sociales dans la biographie : "Percer les rides de la mémoire"* d'Abdul Malik Murtad, on est spécialisé évidement sur les différents traits de la vie sociale, dont les thèmes étaient nombreux, colorés et influencés par les l'enfance de l'écrivain jours de dissolution et de voyage, et jours d'étude ainsi que d'excellence scientifique qui se symbolisent par des endroits précis. Depuis ses premier pas dans la recherche de la connaissance, du travail et de la vie; De (Msirda) à (Ahfir) à Constantine à Fès à Rabat à Paris aux étapes de talent critique et créatif dans diverses régions culturelles.

L'écrivain Abd al-Malik Murtad s'est assis dans sa mémoire et a commencé à creuser dans ses rides, à la recherche de ses joyaux et en enregistrant ses événements, ses nouvelles et ses stations remplies de joie à certains moments et de douleur et de tristesse à d'autres. Il a tissé un monde étrange et étonnant, il a choisi ses couleurs à base des termes de l'environnement dans lequel elle est née et vit toujours, il a donc réalisé une image en mosaïque portant l'étiquette d'une biographie, qui est un rare chef-d'œuvre d'histoires et des anecdotes qui grossissent et diminuent selon leur importance.

"Et ce sont des images poétiques dans leur forme, tristes dans leur contenu, du temps de ma jeunesse, que j'ai brodées sincèrement..." (Abdul Malik Murtad)

Mots Clés: Abdul Malik Murtad, biographie, Msirda, dimensions sociales.